سلسلة الخطب الدعوية (٩-٢٥)

الموت والدار الآخرة

مجموعة خطب ألقيتها من على منبر الجمعة وهي مناسبة أن تُلقى
كمحاضرات أو كلمات في المساجد والمدارس والإذاعات وغيرها.

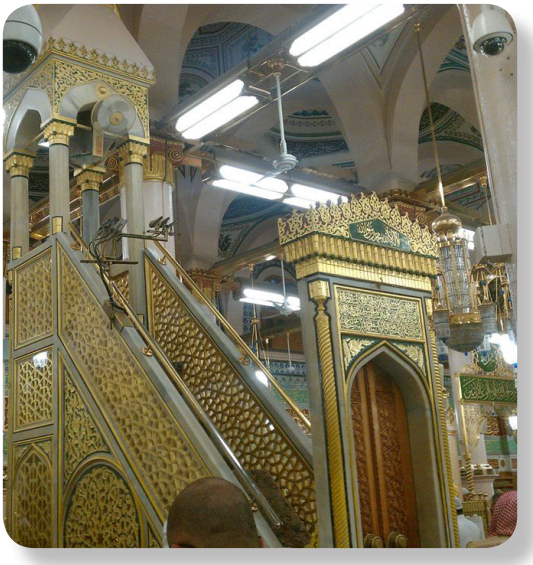

أعدها وألقاها

حمد بن إبراهيم بن صالح الحريقي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الطبعة الأولى

صفر / ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3].

أما بعد:

فهذه مجموعة من الخطب المنبرية والتي ألقيتها خلال قيامي بالخطابة في عدد من جوامع المملكة العربية السعودية وأغلب هذه الخطب كانت في جامع البساتين بمحافظة القويعية في الفترة من عام ١٤١٤-١٤٢٤هـ.

ولا أزعم أن هذه الخطب المدونة كانت من اجتهادي الخاص ولكنني استفدت من عدد من الكتب ودواوين الخطب المطبوعة ويبقى أن لكل خطيب بصمته الخاصة في الإعداد وطريقته المتميزة في الإلقاء عن غيره.

---

(١) [سورة آل عمران: آية ١٠٢].

(٢) [سورة النساء: آية ١].

(٣) [سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١].

وكان الباعث لنشر هذه الخطب هو الحاجة الماسة لدى الكثير من الخطباء في هذا العصر وطلبهم للخطب والبحث عما كُتب من قبل ومساهمة في نشر الخير وإعانة للخطباء والوعاظ والمتكلمين وغيرهم ممن ينشر الخير والفائدة في المساجد والمدارس والإذاعات كان إخراجها ونشرها.

وهي صالحة بإذن الله للخطابة فيها وإلقاءها عن طريق الكلمات في المساجدأو المدارس أو عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

أسأل الله أن يبارك في هذه الخطب وأن يجعلها حجة لنا لا علينا وأن ينفع بها عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

والله وحده الموفق لكل خير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

حمد بن إبراهيم الحريقي

في الخامس من رمضان لعام ١٤٤١ هـ أيام وباء كورونا (كوفيد ١٩)

في البلد الحرام مكة المكرمة - حرسها الله -

جوال ٠٠٩٦٦٥٥٥٤٢٢٥٢٠

❊❊❊

سلسلة الخطب الدعوية :

م	العنوان	م	العنوان
١	الإيمان والتوحيد.	١٤	التربية.
٢	الله جل جلاله وكتابه الكريم.	١٥	الآداب.
٣	محمد صلى الله عليه وسلم وسنته.	١٦	الأخلاق الحسنة.
٤	الصلاة والزكاة.	١٧	الأخلاق السيئة.
٥	الصيام.	١٨	المحرمات.
٦	الحج والعمرة.	١٩	الأمن.
٧	العيدين والاستسقاء.	٢٠	العالم الإسلامي.
٨	أشراط الساعة.	٢١	الطوائف والفرق.
٩	الموت والدار الآخرة.	٢٢	الشباب.
١٠	الفتن والبلاء.	٢٣	المرأة.
١١	السير والمعارك.	٢٤	الزواج.
١٢	الحقوق.	٢٥	الدراسة والإجازة.
١٣	القصص.		

❋❋❋

حب الدنيا وكراهية الموت

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واشكروه واعلموا أنكم أمناء على دينه وكل مسلم على ثغر من ثغور الإسلام فحذار أن يؤتى الإسلام من قبله.

إن الله تعالى خلق الإنسان في هذه الحياة وجعل أمامه طريقين طريق الخير وطريق الشر وهو قادر على التمييز بينهما كما أنه قادر عل توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر، ولقد شرع الله تعالى الدعوة إليه لإقامة الحجة على العباد ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حي عن بينة.

وأي دعوة قلّت أو كثرت تسامت أو تدانت لابد لها من دعاة وهؤلاء الدعاة لابد أن يتحلوا بالصدق والإخلاص والصبر وعليهم بالبداية بأنفسهم في ذلك وهنا يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مراتب جهاد النفس فقال فجهاد النفس أربع مراتب:

* **أحداها:** أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.
* **الثانية:** أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

* **الثالثة:** أن يجاهدها على الدعـوة إليه وتعليمه من لا يعلمه وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى.
* **الرابعة:** أن يجاهدها على الصبر على مشـاق الدعوة إلى الله تعالى وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله تعالى.

فيجب على كل مسـلم ومسـلمة أن يطبق هذه المراتب مجاهداً لنفسـه على تعلم العلم ثم تطبيقه ثم تبليغه ثم الصبر على ما يناله في سبيل ذلك. وللأسف أن قلة من الناس قاموا بهذا الواجب والله المستعان، .

يـا طـلاب العلم إن مهمتكـم عظيمة ورسـالتكم كبيرة وهي الدعـوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسـنة وإن الله تعالى سـائلكم يـوم القيامة عما قمتم به بما أوجب عليكم من الدعوة إليه.

وبنـاء على تقصير البعض في الدعوة ظهرت المعاصي وانتشـرت المنكرات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وانظـروا إلى مـا حل بالأمة مـن الذل والهـوان مصداق ما أخبر به الرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُوشِكُ الأممُ أن تداعَى عليكم كما تداعَى الأَكَلةُ إلى قصعتِها. فقال قائلٌ: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قـال: بل أنتم يومئـذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءُ السَّـيلِ، ولينزِعـنَّ اللهُ من صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذِفَنَّ اللهُ في قلوبِكم الوهْنَ. فقال قائلٌ : يا رسولَ اللهِ! وما الوهْنُ ؟ قال : حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ**»[1].

(١) صحيح أبي داود (٤٢٩٧).

ولنا مع هذا الحديث وقفه لنعرف أن ما آل إليه المسلمون اليوم نتيجة التقصير في الدعوة إلى الله تعالى ونتيجة مقدمات مريضة تتناول حب الدنيا في كل مظاهرها من زينة وترف ومناصب وأمجاد شخصية وتنافس رخيص على متاع الدنيا، نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا الحديث جدير بأن يفهمه كل مسلم ليعمل على إصلاح ما فسد قبل أن يتسع الخرق على الراقع فيؤخذ من الحديث عدة أمور:

* **الأول:** أن تداعي الأمم على المسلمين تداع متكالب متحلق كالحلقة من كل جانب. والعنف بالأمة الإسلامية واضح جلي وللضعيف ثغرات استطاع العدو المتربص أن ينفذ من خلالهما.

* **الثاني:** السؤال عن القلة والكثرة في هذا التداعي من قلة نحن كما تبادر للصحابي الجليل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكانت الإجابة المحكمة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبرزت ملامح الداء ولكنكم غثاء كغثاء السيل أي لا قيمة لكم ولا وزن أمة خاوية فأصبحت غثاء يترامى هنا وهناك ضعيف ملامح شخصيتها لتعيش على فتات الشرق والغرب.

* **الثالث:** انتزاع المهابة، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ**»[1] ولننظر إلى هذه المهابة في عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عهد خلفائه الراشدين حينما كانوا يعتزون بالاسلام لا يطأطئون رؤوسهم إلا لله رب العالمين. فأصبحت أمم الكفر تخافهم وتخشاهم. وحينما تدرجت الأحوال وفرط كثير من المسلمين في إسلامهم وهان

(١) صحيح البخاري (٣٣٥).

عليهم دينهم وأعجبوا بالكفرة سلبهم الله تعالى ذلك جزاءً وفاقًا.

* **الرابع:** عقوبة الوهن وتعريف الوهن كما نص عليه رسول الله ﷺ «**حُبُّ الدُّنيا وكراهيـةُ الموتِ**»[1] فالعقوبة عقوبتان الأولى انتزاع المهابة والثانية عقوبة الوهن.

* **الخامس:** كراهية الآخرة وتكفينا هذه الحكمة لمعرفة لماذا كره كثير من الناس الآخرة.

ولما سئل سلمة بن دينار لماذا نكره الموت؟ فقال: لأنكم خربتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال بعض الحكماء: الإعراض عن الحق مع نصوع برهانه صنيع الغافلين والسكوت عن الحق مع القدرة على بيانه صنيع الشياطين والاستعلاء على الحق مع تطاول بنيانه صنيع المغرورين والاستخفاف بالحق مع كثرة أعوانه صنيع المتكبرين.

وعلينا جميعًا أن نعمل لخدمة هذا الدين العظيم فالعمل للدين مسئولية الجميع ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وكل بحسب استطاعته.

يا قوم قد بان الطريق فهل ترى ... أزف الرحيل إلى ذرى أمجادي
أدّوا الأمانة قبل ألا تملكوا ... إلا البكاء وحرقة الأكبادي
وتوغلوا في كل درب نافع ... لا تتركوا الميدان للأوغاد
ربّوا النفوس على الثبات سجية ... عند الحوادث فالخطوب نوادي

(١) صحيح أبي داود (٤٢٩٧).

وتريثوا فالنصر ليس بخطبة تلقى وليس بوفرة الأعداد
ما قلة الأعداد نشكوا إنما تشكوا الكتائب قلة الإعداد
تأتي البشائر بعد طول مشقة كالغيث بعد البرق والأرعاد

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واستقيموا على دينكم وخذوا العبرة ممن سبقكم وأقرؤوا تاريخ أمتكم. واعتبروا يا أولي الأبصار.

تمر الأمم بمراحل من المد والجزر في سلطانها وفكرها ووجودها وكم أمة سادت ثم بادت وليست أمتنا ببدع عن الأمم وقد كنا في مرحلة من مراحل التاريخ نتبوأ مكان الصدارة بين الأمم ثم إذا بنا ننزل في مرحل أخرى إلى درجات متدنية وإن من أسوأ فترات تاريخ امتنا تلك الحقبة التي تعرضت فيها لغزوات متصلة من الصليبيين من جهة والتتار من جهة أخرى.

أما غزوات الصليبين فقد بدأت في نهاية القرن الخامس الهجري وامتدت إلى نهاية القرن السابع وقد تداخل الغزو التتري مع بعض غزوات الصليبين فقد بدأ ذلك الغزو تحركه في مشرق العالم الإسلامي منذ العقد الثاني من القرن السابع الهجري وأخذ يستشري في جسد الأمة الإسلامية حتى استطاع أن يقضي على الخلافة الإسلامية أو ما بقي من آثار تلك الخلافة وتهاوت أمامه القلاع.

ولو تسألنا عن سبب ذلك فالجواب يكمن في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]. ولقد أصاب المسلمين مرض حب الدنيا وكراهية الموت ولقد أورد ابن الأثير في كتابه الكامل صوراً من جبن المسلمين وخوفهم

(١) سورة الرعد: آية ١١.

الذي استولى على قلوبهم صوراً تستفز المشاعر فقد ذكر أن الرجل من المغول كان يدخل الدرب وفيه جماعة كثيرة أو القرية وفيها جمع كثير فلا يزال يقتلهم واحداً واحداً حتى يأتي عليهم جميعاً ولا يجسر عليه أحد منهم يمد يده عليه.

وقد ذكر أن واحداً منهم أي من التتر أخذ رجلاً ولم يكن مع التتري سلاح وقال لذلك الرجل ضع رأسك على الأرض ومضى التتري وأحضر سيفاً فقتله. فأي ذلة بعد هذه الذلة ثم يستطرد ابن الأثير في وصف أحوال المسلمين في ذلك الزمان فيقول والسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فو الله أن دم المسلم ليحترق عندما يسمع هذه الصور وما هو أفضع منها ويستولي عليه العجب كيف وصل الحال إلى ما نسمع وما البوسنة والهرسك والشيشان وكشمير وبورما وفلسطين عنا ببعيد، والله المستعان.

ولكنه الخوف وسببه التفريط في جنب الله وانتهاك حرماته والمجاهرة بذلك وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❊❊❊

هم الدنيا والآخرة وفتنة المال

الحمد لله رب العالمين أغنى وأقنى وأهلك عاداً الأولى وثمود فما أبقى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الآخرة والأولى، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله كان عيشه وأهل بيته كفافاً وما شبعوا ثلاثاً تباعاً من خبر البر حتى فارقوا الدنيا اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى إخوانه من الأنبياء وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله فتلك وصية الله للأولين والآخرين.

وهناك حقيقة يشهد بها الواقع ويجليها لنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من كانتِ الآخرةُ هَمَّهُ جعلَ اللَّـهُ غناهُ في قلبِهِ وجمعَ لَه شملَهُ وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغمةٌ ، ومن كانتِ الدُّنيا همَّهُ جعلَ اللَّهُ فقرَهُ بينَ عينيهِ وفرَّقَ عليهِ شملَهُ ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما قُدِّرَ لَهُ**»(١).

وبنظرة متأملة في هذا الحديث الشريف يتبين أولاً أن الغنى غنى النفس وليس الغنى عن كثرة العرض كما أخبر بذلك المصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حديث آخر ويشهد الواقع بذلك أن عدداً من الناس يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث والدور والقصور ومع ذلك فهم يعيشون النكد في حياتهم ولا يشعرون بلذة المال ولا راحة البال كدحاً وتفكيراً وهماً وقلقاً ونكداً ومنعاً وحرماناً للفقراء والمساكين والأصحاب والمقربين.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥) واللفظ له، وابن أبي الدنيا في (الزهد) (٣٣٢)، والحارث في (المسند) (١٠٩٢).

ويهدي الحديث ثانيًا أن الآخرة هي الأصل في تفكير الإنسان وهي التي تستحق أن تبذل لها الأوقات ويتنافس فيها المتنافسون وفيها ينبغي أن تكون همومه وآماله وأمانيه. وفوق ما في التفكير في الآخرة من جمع الشمل وإراحة الفكر وغنى النفس فليس يفوت على الإنسان بسبب الانشغال بها ما كتب الله له من نصيبه في الحياة الدنيا.

وفي مقابل ذلك فإن كثرة التفكير في الدنيا لا يدعوا إلى الغنى ولا يسلم صاحبها من تشتت الشمل بل هو طريق إلى الفقر إذ ليس يأتي للمرء من الدنيا إلا ما قدر الله له وقضى.

وعلينا ونحن نعي هذا الحديث جيداً أن نعي معه الحديث الآخر، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ لكلِّ أمَّةٍ فتنةً وفتنَةُ أمَّتي : المالُ»(١) والله جَلَّ جَلَالُهُ يمتحن الناس بهذا المال كما يمتحنهم بالأزواج والأولاد فقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾(٢).

فمن الناس من يتخذ المال وسيلة للكبر والبطر أو الشح والبخل أو الغفلة عن ذكر الله ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ ﴾(٣).

ومن الناس من يسعده المال ويسعد هو بالمال فهو يعرف لله فيه حقاً ينفق منه ذات اليمين وذات الشمال يأخذه من حله ويصرفه في مصارفه الشرعية ولا يلهيه عن ذكر الله ولا يطغيه ولا يدعوه لازدراء خلق الله، أولئك في أموالهم حق

(١) صحيح الترمذي (٢٣٣٦).

(٢) سورة التغابن: آية ١٤-١٥.

(٣) سورة العلق: آية ٦-٨.

للسائل والمحروم واستمع إلى قول الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾[1].

في الحديث عن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**أَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهو يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، قالَ: يقولُ ابنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قالَ: وَهلْ لَكَ، يا ابْنَ آدَمَ مِن مَالِكَ إلَّا ما أَكَلْتَ فأفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فأمْضَيْتَ؟**»[2].

وطريق الخلاص والعلاج من التعلق بالدنيا وهمومها وزخرفها التفكير المستمر في الآخرة وإعطاؤها ما تستحق من التفكير والجده والوقت وكذلك القناعة بما رزقك الله والكفاف بالعيش وما يعين على الخلاص من الدنيا وفتنة المال أن يعلم الناس أن المسكنة ليست عيباً فهذا صفوة الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعوا ويقول: «**اللَّهمَّ أَحيني مِسكينًا، وأَمِتْني مِسكينًا، واحشُرني في زُمرةِ المساكينِ يومَ القيامَةِ، فقالَت عائشةُ: لِمَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: إنَّهم يَدخُلون الجنَّةَ قبلَ أغنيائِهم بأربعين خريفًا، يا عَائشةُ، لا تُرُدِّي المِسكينَ ولو بشِقِّ تَمرةٍ، يا عائشةُ، أحِبِّي المساكينَ، وقَرِّبيهم؛ فإنَّ اللهَ يقرِّبُكِ يومَ القيامَةِ**»[3].

واستمع لهذا العلاج النبوي للخلاص من هموم الدنيا وغمومها يصفه لنا سيد الخلق أجمعين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكل محتاج ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من نزَلَت به فَاقَةٌ فأنزَلَها بالناسِ لم تُسَدَّ فَاقَتُهُ. ومَن نزَلتْ به فَاقَةٌ فأنزَلَها باللهِ فيوشِكُ اللهُ لهُ**

(١) سورة الذاريات: آية ١٥-١٩.

(٢) صحيح مسلم (٢٩٥٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٥٢)، وابن الجوزي في (الموضوعات) (٣/ ١٤٢) واللفظ لهما، والبيهقي (١٣٥٣٠) باختلاف يسير.

برزْقٍ عاجِلٍ أو آجِلٍ»[1].

إنه التوكل الحق على الله والاستغناء به وحده عما سواه وسؤال الله وحده والالتجاء إليه لكشف الكربة وإزالة الغمة والله هو الغني الحميد وهو أكرم الأكرمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن رفع يديه إليه سائلاً لا يمكن أن تعود إليه صفر اليدين فهي دعوة للتعفف عما في أيدي الناس وهي تحذير للمسألة إلا في الحدود المأذون بها شرعاً فأين الواثقون بالله يسد فاقتهم وأين المستعينون بالله وحده يقضي حوائجهم.

أيا مالكُ لا تسأل الناس والتمس ... يكفيك فضل الله فالله أوسعُ

ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

وفضل الله واسع ورحمته تنال في الدنيا والآخرة لمن وفقه الله وهمة المرء ينبغي ألا تكون قصراً على الدنيا الفانية الزائلة الله تعالى يقول ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾[2].

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

❋❋❋

(١) أخرجه أبو داود (١٦٤٥)، والترمذي (٢٣٢٦) واللفظ له، وأحمد (٣٦٩٦).

(٢) سورة النساء: آية ١٣٤.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

وإذا أردتم أن تزدادوا من معرفة قيمة الدنيا وحقارتها وهوانها وعظيم قدر الآخرة واستحقاقها للسعي وبذل الجهد فتأملوا في عيش خيار الخلق وصفوة الأمة وخير القرون وأولهم وقدوتهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما شبع رسول الله من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض».

ويقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبيت الليالي المتتابعة طاويًا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير.

وليس يخفى عليكم أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربما ربط الحجر على بطنه والحجرين من الجوع وهو الذي لو شاء سأل الله أن تتحول له الجبال ذهبًا لأجابه ولكنه عرف قدر الدنيا وآثر عليها الآخرة ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾[1] كذلك كان أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

فهذه الدنيا وقدرها وتلك هي حالة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها ثم أتستحق الاهتمام إلى درجة ينس فيها المرء الواجبات المتحتمات أو يتهاون في سبيلها بالكبائر والمحرمات؟.

ألا ما بال أقوام يستهينون في جمعها مما حلّ أو حرم فلا ينتهون عن الربا ولا يتورعون عن الغش في البيع والشراء ولا يبالون بالكذب والخداع وربما فهموها نوعًا من الشطارة في الأخذ والعطاء.

(١) سورة الضحى: آية ٤.

حسن الخاتمة وسوءها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

وحسن الخاتمة أمر يطلبه كل واحد منا بل كان السلف الصالح يدعون الله تعالى أن يحسن خاتمتهم بل وكانوا يخافون من سوء الخاتمة وحسن الخاتمة هو أمر يوفق العبد قبل موته للتقاصي عما يغضب الرب سبحانه والتوبة من الذنوب والمعاصي والإقبال على الطاعات وأعمال الخير ثم يكون موته بعد ذلك على هذه الحال الحسنة ومما يدل على هذا المعنى قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أرادَ اللَّهُ بعبدٍ خيرًا استعملَهُ. فقيلَ: كيفَ يستعملُهُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قالَ: يوفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قبلَ الموتِ»[2].

ولحسن الخاتمة علامات منها ما يعرفه العبد المحتضِر عند احتضاره ومنها:

ما يظهر للناس أما العلامة التي يظهر بها للعبد حسن خاتمته فهي ما يبشر به عند موته من رضا ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ واستحقاق من كرامته تفضلاً منه تعالى كما قال

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٢) واللفظ له، وابن حبان (٣٤١).

تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1] وهذه البشارة تكون للمؤمنين عند احتضارهم وفي قبورهم وعند بعثهم من قبورهم.

ومما يدل على هذا، قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن أَحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، ومَن كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ قالَتْ عائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْواجِهِ: إنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ، قالَ: ليسَ ذاكِ، ولَكِنَّ المُؤْمِنَ إذا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوانِ اللَّهِ وكَرامَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أَحَبَّ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ، فأَحَبَّ لِقاءَ اللَّهِ وأَحَبَّ اللَّهُ لِقاءَهُ، وإنَّ الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بعَذابِ اللَّهِ وعُقُوبَتِهِ، فليسَ شَيءٌ أكْرَهَ إلَيْهِ ممَّا أمامَهُ، كَرِهَ لِقاءَ اللَّهِ وكَرِهَ اللَّهُ لِقاءَهُ»[2].

قال الإمام الخطابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى محبة العبد للقاء الله إيثاره الآخرة على الدنيا فلا يحب استمرار الإقامة فيها. بل يستعد للارتحال عنها والكراهية بعد ذلك.

ولحسن الخاتمة علامات كثيرة في النصوص الشرعية نورد بعضها منها: النطق بالشهادة عند الموت ودليل ذلك ما رواه الحاكم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن كان آخِرُ كلامِهِ لا إلهَ إلَّا اللَّهُ دخَلَ الجنَّةَ»[3].

ومنها الموت برشح الجبين أي يكون على جبينه عرق عند الموت فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُؤْمِنَ يموتُ بعَرَقِ الجبينِ»[4].

---

(١) سورة فصلت: آية ٣٠.

(٢) صحيح البخاري (٦٥٠٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣١١٦) واللفظ له، وأحمد (٢٢٠٣٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٩٨٢)، والنسائي (١٨٢٩)، وابن ماجه (١٤٥٢)، وأحمد (٢٣٠٩٧).

ومنها الموت ليلة الجمعة أو نهارها لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما مِن مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ إلَّا وقاهُ اللَّهُ فِتنةَ القبرِ»(١).

ومن علامات حسن الخاتمة الاستشهاد في ساحات القتال في سبيل الله:

وموته غازيا في سبيل الله أو موته بمرض الطاعون أو بداء البطن أو موته غرقا وكل ذلك دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن علامات حسن الخاتمة الموت على عمل صالح:

لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قال: لا إلهَ إلا اللهُ - قال: حسنٌ - ابتغاءَ وجهِ اللهِ خُتِمَ لهُ بِها، دخلَ الجنةَ، ومَنْ صامَ يومًا ابتغاءَ وجهِ اللهِ، خُتِمَ لهُ بِها، دخلَ الجنةَ، ومَنْ تصدقَ بصدقةٍ ابتغاءَ وجهِ اللهِ، خُتِمَ لهُ بِها، دخلَ الجنةَ»(٢).

ولنعلم أن ظهور شيء من هذه العلامات أو وقوعها للميت لا يلزم منه الجزم بأن صاحبها من أهل الجنة ولكن يستبشر له بذلك كما أن عدم وقوع شيء منها للميت لا يلزم منه الحكم بأنه غير صالح ونحو ذلك فهذا كله من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولسائل يسأل كيف تكون خاتمة حسنة فأقول علينا بفعل الأسباب التالية:

* ومن أعظمها أن يلزم الإنسان طاعة الله وتقواه ورأس ذلك تحقيق التوحيد والحذر من ارتكاب المحرمات ومنها أن يلح المرء في دعاء الله تعالى أن يتوفاه على الإيمان والتقوى.

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧٤)، وأحمد (٦٥٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٣٣٧٢).

* ومنها أن يعمل الإنسان جهده وطاقته في إصلاح ظاهرة وباطنه وأن تكون نيته وقصده متوجهة لتحقيق ذلك وغير ذلك من الأسباب.

وبعد حسن الخاتمة هناك سوء الخاتمة وهي أن تكون وفاة الإنسان وهو معرض عن ربه جَلَّ وَعَلَا مقيم على معصية، مضيع لما أوجب الله عليه ولا ريب أن تلك نهاية مخيفة طالما خافها المتقون وتضرعوا إلى ربهم أن يجنبهم إياها. وقد يظهر على بعض المحتضرين علامات أو أحوال تدل على سوء الخاتمة مثل عدم النطق بالشهادة ورفضها أو التحدث في سياق الموت بالسيئات والمحرمات ونحو ذلك من الأقوال أو الأفعال ومن أكثر من شيء ختم له به نسأل الله السلامة والعافية.

يقول العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الجواب الكافي: أن أحد الناس قيل له وهو في سياق الموت قل لا إله إلا الله فقال وما يغني عني وما أعرف أني صليت له صلاة ولم يقل لا إله إلا الله.

ونقل الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه جامع العلوم والحكم عن أحد العلماء وهو عبد العزيز بن أبي رواد قال: حضرت رجلاً عند الموت يلقن لا إله إلا الله فقال في آخر ما قال هو كافر بما تقول ومات على ذلك. قال فسألت عنه فإذا هو مدمن خمر، فكان عبد العزيز يقول اتقوا الذنوب؟ فإنها هي التي أوقعته.

وذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن رجلاً كان يجالس شراب الخمر متى حضرته الوفاة جاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له اشرب واسقني ثم مات.

وذكر العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عن رجل عرف بالغناء وحبه لها وترديدها فلما حضرته الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فجعل يهذي بالغناء حتى قضى ولم ينطق بكلمة التوحيد.

فيا سبحان الله كم شاهد الناس من هذا عبرا؟

والـذي يخفـى عليهم من أحـوال المحتضرين أعظم وأعظم فـإذا كان العبد في حال حضور ذهنه وقوته وكمال إدراكه قد تمكن منه الشـيطان واسـتعمله فيما يريده من معاصي الله وقد أغفل قلبه عن ذكر الله وعقل لسانه عن ذكره وجوارحه عن طاعته فكيف الظن به عند سقوط قواه واستفال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع وجمع الشـيطان له كل قوته وهمته وحشـد عليه بجميع ما يقدر عليه لينال منه لرصته فا ذلك آخر العمل، فأقوى ما يكون عليه شيطانه ذلك القوت وأضعف مـا يكون هو في تلك الحال فمن تُرى يسـلم علـى ذلك فهناك ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[1] فكيف يوفق بحسـن الخاتمة من أغفل الله سبحانه قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطا.

نسأل الله حسن الختام

نسـير إلـى الآجـال في كل لحظـة ... وأيامنـا تطـوى وهـن مراحـلُ
ومـا أقبـح التفريط في زمـن الصبا ... فكيف به والشـيب للرأس شاملُ
ترحـل عـن الدنيـا بزاد مـن التقى ... فـعـمـرك أيـام وهـن قـلائـلُ

❊❊❊

(١) سورة إبراهيم: آية ٢٧.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وأسباب سوء الخاتمة كثيرة يجب الحذر منها من أعظمها فساد الاعتقاد فإن من فسدت عقيدته ظهر عليه أثر ذلك وكذلك الإصرار على المعاصي وإلفُها فإن من أحب شيئًا أكثر من ذكره وختم له به.

وقال ابن كثير إن الذنوب والمعاصي والشهوات تخذل صاحبها عند الموت ومن الأسباب لسوء الخاتمة الإعراض عن الخير والهدي والإقبال على الدنيا والتعلق بها وسوء الخاتمة أعاذنا الله منها لا يقع فيها قد صلح ظاهره وباطنه مع الله وصدق في أقواله وأعماله.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أعمارنا أواخرها وخير أيامنا يوم نلقاك فيه، اللهم وفقنا لفعل الخيرات وترك المنكرات.

❊❊❊

متاع الغرور

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيداً إلى يوم الدين ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1].

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهو أصدق القائلين ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤﴾[2] ففي الآية تقرير من الله لما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من متاع، وأنواع الملاذ التي بها يتعلقون وبها أحياناً يفتنون وعن طريقها يغنمون وأحياناً أخرى يغرمون فهذه الملاذ تختلف باختلاف أحوال الناس تجاهها فهي لفئة مأثم ومغرم ونقمة وفتنة وهي لفئة أخرى نعمة ومغنم ووسيلة للفلاح والنجاح في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

فإن قلت كيف يكون ذلك والمتاع هو المتاع والناس هم الناس؟ أجبت بأن الهدف يختلف من شخص لآخر والنظر لهذا المتاع واستخدامه يختلف من فئة لأخرى فالذين يتعاملون مع ملاذ الحياة الدنيا على أنهما المبدأ أو النهاية والهدف والغاية فهؤلاء غارمون آثمون لأن الدنيا بملاذها لا تستحق أن ينقطع الإنسان

(١) سورة البقرة: آية ٢٨١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٤.

لهـا. وأن يصـب فيهـا كل جهـده ويوليها كل عنايتـه بعيدا عن طاعـة الله وامتثال أوامـره واجتناب نواهيه. وهل الدنيا إلا وسـيلة إلى الآخرة فمن اسـتخدمها بهذا الفهم وجعلها معبراً للنعيم الدائم فقد أفلح وأنجح ومن كانت الدنيا همة فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يعطه الله إلا ما كتب له.

أمـا الذيـن يسـتعينون بمتـاع الدنيـا علـى الطاعة وينصرفـون بها إلـى الجنة ورضوان الله فهؤلاء يحققون السـعادة لأنفسـهم في الحياة الدنيا ويضمن لهم الله السـعادة الحقة يوم القيامة، ومن كانت الآخرة همه جعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة.

وبدأ الله المتاع الدنيوي بالنسـاء لأن الفتنة بهن أشـد والرسـول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «ما تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ علَى الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ»(١).

وتنقلب المرأة أحيانـًا عدواً للإنسان فتلهيه عن طاعة الله أو تدعوه إلى ما حرم الله أو تعوقه عن الخير بكل طرقه ووسـائله ولهذا حذر المولى منها في تلك الحال فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾(٢) فأما إذا كان القصد بالنساء إعفاف الفروج وكثرة الأولاد الصالحين وكانت المرأة مثالاً لطاعة الله ونموذجـًا للعبادة فهذا مطلوب ومرغوب وهي خير المتاع كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللـهَ تعالى لمْ يفرضِ الزكاةَ إلا ليُطَيِّـبَ بها ما بَقِيَ منْ أموالِكمْ، وإنَّمـا فرضَ المواريثَ لتكونَ لمنْ بعدَكمْ، ألا أخبرُكَ بخيرِ ما يكنزُ المرءُ؟ المرأةُ الصالحةُ، إذا نظرَ إليها سرَّتْه، وإذا أمرَها أطاعَتْه، وإذا غابَ عنها حفظَتْه»(٣).

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) سورة التغابن: آية ١٤.

(٣) الجامع الصغير (١٧٦٨) صحيح.

ويأتي بعد النساء، الأولاد فحب البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في النهي والفتنة كما قال سبحانه ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥﴾[1] وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن يعبد الله وحده الله لا شريك له ومن يسدون الثغور وينفع الله بهم البلاد والعباد فهذا محمود وممدوح مطلوب ولهذا كان من دعاء الصالحين ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[2] بل أوصى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك فقال: «**تزوَّجوا الودودَ الولودَ فإنِّي مُكاثرٌ بكمُ الأممَ يومَ القيامةِ**»[3].

وكما تحرصون على اختيار النساء وتربية الأولاد فاحذروا الافتتان بهم وقد قيل إن في النساء فتنتين وفي الأولاد فتنة واحدة فأما اللتان في النساء فإحداهما تؤدي إلى قطع الأرحام لأن الزوجة تأمر زوجها بهجر أمه وأخواته أو قريباته بشكل عام والثانية يبتلى بسببها بجمع المال من الحلال و الحرام وأما البنون فالفتنة معهم واحدة وهي جمع المال لأجلهم. بل قد يكون الأبناء سببًا لبخل الآباء وجبنهم وحزنهم.

وحب المال كذلك تارة للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم وتارة يكون للتفقه في القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجود البر والطاعات فهذا ممدوح عليه شرعًا والناس بين هذا وذاك فالمال يرفع أقواما في درجات الجنان أولئك الذين قال عنهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا حَسَدَ**

(١) سورة التغابن: آية ١٥.

(٢) سورة الفرقان: آية ٧٤.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٥٩٤)، وابن حبان (٤٠٢٨) باختلاف يسير، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (٤/ ٢١٩) واللفظ له.

إلَّا فـي اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتـاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهو يَتْلُوهُ آناءَ اللَّيْلِ وآنـاءَ النَّهارِ، ورَجُلٌ آتاهُ اللَّهُ مالًا فَهو يُنْفِقُهُ آناءَ اللَّيْلِ وآناءَ النَّهارِ»[١] وتارة يستبعد الإنسان ويذله ويقسه ويشغله وهؤلاء هم الذين وصفهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «تَعِسَ عبدُ الدينار، تَعِسَ عبدُ الدرهم، تَعِسَ عبدُ القطيفةِ ، تَعِسَ وانتكسَ وإذا شِيكَ فلا انتقشَ»[٢] فإياكم أن تستعبدكم أموالكم أو تذلكم تجارتكم والحق أن ليس لكم منها إلا ما قدمتم لآخرتكم وما عدا ذلك فهو للوارث من بعدكم وتأملوا حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «اعلَموا أنه ليس منكم من أحدٍ إلا مالُ وارثِه أحبُّ إليه من مالِه، مالُك ما قدَّمتَ، ومالُ وارثِك ما أخَّرتَ»[٣].

أما الخيل المسومة وهي الداعية الحسان أو ذوات الغر والتحجيل فهي على ثلاثة أقسام فإن ربطها في سبيل الله فهي مغنم ويؤجر عليها صاحبها وإن ربطها فخراً فهي على صاحبها وزر وإن جعلها للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله فيها فهي لصاحبها ستر ..

وعلى كل حال فالمعجزة تتحقق والخبر يصدق وواقع الناس يؤكد ارتباطهم ومحبتهم لهذه الزينة في الحياة الدنيا كما قال سبحانه ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾[٤] وما الذي وراء هذا التوجيه الرباني قول الله تعالى ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ

---

(١) صحيح البخاري (٧٥٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٨٧) باختلاف يسير.
(٣) أخرجه النسائي (٣٦١٢)، وأحمد (٣٦٢٦).
(٤) سورة آل عمران: آية ١٤.

ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾[1] فهذا هو المتاع الحق وتلك هي الزينة الباقية والبساتين تنخرق بين جوانبها وأنهار العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أما الأزواج فهناك الحور العين مطهرات من الدنس والخبث والأذى والحيض والنفاس واستمع إلى بعض وصف الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الحور العين:

فاسمع صفات عرائس الجنات ... ثم اختر لنفسك يا أخا العرفان

حور حسان قد كملن خلائقًا ... ومحاسنها من أجمل النسوان

حتى يحار الطرف في الحسن الذي ... قد ألبست فالطرف كالحيران

ويقول لما أن يشاهد حُسنها ... سبحان معطي الحسن والإحسان

والطرف يشرب من كؤوس جمالها ... فتراه مثل الشارب النشوان

كملت خلائقها وأكمل حسنها ... كالبدر ليل الست بعد ثمان

إلى أخر ما قال في الكافية الشافية.

وفوق ذلك كله رضوان الله تعالى يحل بهم فلا يسخط عليهم أبداً.

اللهم ارزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، اللهم وأعذنا من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

❊❊❊

(١) سورة آل عمران: آية ١٥.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وانظروا إلى واقعكم وتأملوا في نهايتكم واستعدوا للقاء ربكم واحذروا الفتنة فيما حولكم واعلموا أن طريق الجنة صعب وشاق ولكنه يسير على من يسره الله عليه يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ، وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ**»(١) وتزودوا بدنياكم لأخراكم ولا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وليس بغائب عنكم أن الدنيا ظل زائل وهي حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فناضر ماذا تعملون؟ وبأي واد ترتعون؟ وأي طريق تسلكون؟ ويا ويح من عض أصابع الندامة والحزن والروح تبلغ الحلقوم وهيهات أن يعاد المرء إلى الحياة الدنيا بعد أن خرج منها واعطى من المهلة ما هو كاف للامتحان ومهما كانت ذنوبك وخطاياك فقف في باب ربك ومولاك مائلاً ومستغفراً ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(٢).

اللهم ارزقنا العظة والاعتبار ونجنا من حال أهل الشقاء والبوار.

❊❊❊

(١) صحيح مسلم (٢٨٢٢).
(٢) سورة الزمر: آية ٥٣.

الندم يوم القيامة (١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[1].

لقد أوجدنا الله في هذه الحياة الفانية لغاية عظمى وهدف نبيل هو عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ واستخلفنا في هذه الحياة لنعمرها بطاعته ومرضاته وخلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا.

والحياة فرصة عظيمة للطاعة وميدان فسيح للعبادة وزمن صالح للمسارعة في الخيرات، إنها أعمار تجري ولحظات تسير وزمن يمضي بخيره وشره وحلوه ومره، أمهل الله فيها البشر سنوات من العمر عديدة لينظر كيف يعملون ثم بعد ذلك يهجم عليهم هادم اللذات ومفرق الجماعات لينتهي سجل الحسنات والسيئات إلا ما شاء ربي ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾[2].

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٨٥.

والموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع والكأس التي طعمها أكره وأبشع كدّر على أهل النعماء صفوهم وأقض مضاجعهم وفرق جمعهم وقطع لذتهم.

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تطوى وهن مراحلُ
ولم أر مثل الموتِ حقاً كأنه إذا ما تخطته الأمانيّ باطلُ
وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والشيب للرأس شاعلُ

ولتعلم أن استغلال الأوقات بالتوبة والطاعة ومحاسبة النفس من أجل ما يجب على المسلم الناصح أن يعتني به فإن محاسبة النفوس في الدنيا تهونُ عليها الحساب يوم القيامة.

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رحم الله عبداً قال لنفسه ألست صاحبة كذا؟ ألست صاحبة كذا؟ ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً.

إنك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك ولو أن الناس أطاعوا الله وعصيت أنت لم تنفعك طاعتهم ولو عصوا الله وأطعت الله أنت لم تضرك معصيتهم فتفكر في مصيرك واعمل لنفسك قبل أن تندم ولا تغتر بالدنيا فإن صحيحها يسقم وجديدها يبلى ونعيمها يفنى وشبابها يهرم وأعلم أنك ستتوقف يوماً ما عن هذه الحياة.

فإذا قدمت للدار الآخرة والتي هي دار القرار والنعيم المقيم أو العذاب المهين.

ومن الصفات التي فطر الله عليها البشر الندم وهو على نوعين أحدهما: الندم المحمود وهو الندم في حال الحياة على التفريط في طاعة الله وعبادته، أو الندم على الوقوع في المعصية وهذا النوع من الندم هو النافع للإنسان الذي يوقظه من

غفلته وينبهه من رقدته فيرجع إلى الله تائبًا منكسراً ذليلاً وهذا الندم في أصله توبة وإنابة يؤجر الإنسان عليها أعظم الجزاء فقد قال «الندم توبة».

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن التوبة النصوح: (هي أن يكون العبد نادمًا على ما مضى مجمعًا على أن لا يعود فيه).

وقد دخل إبراهيم بن أدهم على بعض أصحابه يعوده في مرضه فجعل يتنفس ويتأسف فقال له إبراهيم بن أدهم على ماذا تتنفس وتأسف؟ فقال ما تأسفي على البقاء في الدنيا ولكن تأسفي على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله تعالى.

وقال فيما روى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسند صحيح: «لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت هرمًا في طاعة الله لحقِّرهُ ذلك اليوم ولود أنه يرد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب».

وثاني أنواع الندم حيث لا ينفع الندم عند حلول هادم اللذات أو يوم العرض على رب العباد هو ندم المنافقين والعصاة والكفار نعوذ بالله من حال أهل النار يقول جَلَّ وَعَلَا ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[1].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ فرحم الله امرءاً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب في النار.

(١) سورة السجدة: آية ١٢.

إنها الحسرات والندامات والآهات المتلاحقة التي تصدر من العصاة والمنافقين والكافرين حين يرون العذاب ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[1] فيجيبهم الله بقوله ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[2] إنه الندم على التفريط بالطاعات والندم على التفريط والتهاون بالصلاة، والندم على مجالسة الأشرار والندم على الجلوس أمام الشاشة والقنوات الفضائية الندم على شرب المسكرات والمخدرات وارتكاب المحرمات، الندم على بغض المسلمين وحسدهم والكيد لهم، الندم على الغيبة والنميمة وسوء الظن بالمسلمين.

وختامًا أسوق هذه الآيات على الجميع وأخص بها الغافلين الساهين اللاهيين المفرطين في جنب الله ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾[3].

❋❋❋

(١) سورة فاطر: آية ٣٧.

(٢) سورة فاطر: آية ٣٧.

(٣) سورة الفجر: آية ٢١ – ٣٠.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله ولي المؤمنين وأشهد أن نبينا محمدا عبده ورسوله إمام المتقين. أما بعد:

فاتقوا الله عبد الله واعلموا أن هذه الحياة الدنيا فسحة عظيمة للعمل وفرصة كبيرة للازدياد من الصالحات فتزودوا لما أمامكم قبل ساعة الندم.

عن أبي هريرة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما مِن أحَدٍ يَموتُ إلَّا نَدِمَ قالوا وما نَدامَتُهُ يا رسولَ اللهِ قال إن كان مُحسِنًا نَدِمَ أنْ لا يكونَ ازْدادَ وإنْ كان مُسيئًا نَدِمَ أنْ لا يَكونَ نَزَعَ**»(١).

يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل له عبد فجاء يوم القيامة أفضل عملاً منه، ورجل له مال فلم يتصدق به فمات وورثه غيره فتصدق منه، ورجل عالم لم ينتفع بعلمه فعلم غيره فانتفع به.

ورحم الله السلف الذين أدركوا قيمة الحياة وأنها مزرعة الآخرة فاجتهدوا في الزرع وسوف يحصدون عما قريب ونسأل الله تعالى أن يلطف بنا وأن يوقظ قلوبنا وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا.

ألا وصلوا وسلموا عباد الله على خير خلق الله محمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٠٣) واللفظ له، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء) (٧/ ٢٠٣)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٨/ ١٧٨).

(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٦.

الندم يوم القيامة (٢)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مزيداً ..... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1].

روى البخاري في صحيحه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَرَاغُ»[2].

يقول ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ: معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًا صحيح البدن فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرط في ذلك فهو المغبون.

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا لشغله بالمعاش وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا فإذا اجتمعت فغلب عليه الكسل في الطاعة فهو المغبون وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة وفيها التجارة

(١) سورة البقرة: آية ٢٨١.

(٢) صحيح البخاري (٦٤١٢).

التي يظهر ربحها في الآخرة فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون.

وإليكم صوراً من ندم الإنسان يوم القيامة على ما فرط في جنب الله:

الصورة الأولى: القيامة الأولى التي يواجهها الإنسان هي الموت ويبدأ الندم عند اللحظات الأخيرة من عمره عندما يستيقن بخروج روحه من جسده ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾[1]، في تلك الأثناء يتذكر الآف الساعات التي لم يستغلها في طاعة الله ويتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليعمل صالحاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[2]. فهي أول أمنية يتمناها الإنسان أن تترك له فرصة العودة ليعمل صالحا وقد نسي أنه يخاطب علام الغيوب الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وقد علم بكذبه وأن لو أعاده إلى الدنيا لعاد كما كان من فعل المعاصي والتكاسل عن فعل الطاعات ولذلك جاء الجواب قاطعاً لكل ألفاظ الكذب والخداع: ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[3].

الصورة الثانية: عض الأيدي إنها لحظات الحسرة والندامة عندما يستيقن الإنسان وهو في أرض القيامة أن صاحبه الذي كان يصاحبه قد خذله ولم يغن عنه من الله شيئاً وإن تلك الجلسات والقهقهات والليالي الحمراء والمشاركة على موائد القمار والخمر والربا لم تشفع في النجاة مما هو فيه ويرى أمامه أهوال أهل

(١) سورة القيامة: آية ٢٨-٣٠.
(٢) سورة المؤمنون: آية ٩٩-١٠٠.
(٣) سورة المؤمنون: آية ١٠٠.

النار، حينها ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[1].

فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها إنما هو يداول بين هذه وتلك أو يجمع بينها لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين. إنها نتيجة طبيعية لمصاحبة أصحاب السوء ومعاداة أصحاب الصلاح.

الصورة الثالثة: عندما يوضع كتاب الأعمال ويرى كل إنسان ما قدم وأخر يفاجأ صاحب المعصية بما في كتابه فإنه لم يترك كلمة قالها منذ عشرات السنين ولا فعلاً قام به داخل الأبواب الموصدة وفي ظلمة الليل فيصبح نادماً ويقول ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[2]، وقد نسي أو تناسى أنه كان عليه ملكان يسجلان عليه مثقال ذرة من معصية أو خير وتتفاعل في نفسه الحسرة فيتمنى أنه لم يسلم الكتاب ولم يعرف الحساب بل يتمنى الموت على أن يرى هذا العذاب ثم يتذكر أن المال والجاه والسلطان والتي كان يظن أنها تنفعه في الآخرة حتى أعمته عن النظر إلى الحق وأصحابه وتمادى في غيه ومعصيته لم تغنه وأدرك تماماً أن المنجي في تلك اللحظات هي الأعمال الصالحة مع رحمة الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾[3] بل ويتمنى أن يكون تراباً تطؤه الأقدام ولا أن يعذب ذلك العذاب وعلى مقدار

(١) سورة الفرقان: آية ٢٧-٢٩.
(٢) سورة الكهف: آية ٤٩.
(٣) سورة الحاقة: آية ٢٥-٢٩.

ما كان يحرص على الحياة في الدنيا يتمنى الموت في الآخرة بل تكون أجمل أمانيه.

نسأل الله السلامة والعافية.

الصورة الرابعة: عند مجيء النار يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لها سَبْعُونَ ألْفَ زِمامٍ، مع كُلِّ زِمامٍ سَبْعُونَ ألْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها»[1] فعندما يرى النار بهذه الصورة العظيمة يجرها أربعة الآف وتسعمائة مليون ملك وقد تصاعدت منها الألسنة العملاقة والأعناق ذوات العيون المبصرة وهو يسمع تغيظها وزفيرها وهي تصيح بصوت مرعب هل من مزيد هل من مزيد حينها يتذكر الإنسان لحظات المعاصي والكسل والتواني والتسويف ومخادعة الله بالتوبة والساعات الكثيرة التي ضاعت ولكن ما فائدة هذه الذكريات ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾[2] وهو يتقطع حسرات ويقول ياليتني قدمت لحياتي ولكن قد فات الأوان ولقد مضى عهد الذكرى فما عادت تجدي هنا في دار الجزاء أحد وإن هي إلا الحسرة على فوات الفرصة في دار العمل في الحياة الدنيا وحين تتجلى له هذه الحقيقة ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾[3] أمنية فيها الحسرة الظاهرة وهي أقسى ما يملكه الإنسان في الآخرة وإنها أقسى حالات الندم التي يمر بها الإنسان دون أمل لإصلاح ما قد مضى.

الصورة الخامسة: عند وقوفهم على النار يقول الحق سبحانه ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٢) سورة الفجر: آية ٢٣.

(٣) سورة الفجر: آية ٢٤.

(٤) سورة الأنعام: آية ٢٧.

يقـول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكـر تعالى حال الكفار إذا وقفوا يـوم القيامة على النار وشاهدوا ما فيها من السلاسل والأغلال ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال.

ومن العجب أن يقولوا أثناء تمنيهم ونكون من المؤمنين بينما هم الذين كانوا يحاربـون الدعـاة إلى الله ويحاربون كلمة التوحيد ويسـتهزئون بمـن يدعوا إليها فلمـاذا اذن يتمنـون الآن أن يكونوا من المؤمنين ولمـاذا الآن ولم يكون ذلك في الدنيـا إنه النفـاق الذي ما زال عالقًا فيهم حتى وهم أمام النار يشـاهدون أهوالها فهم يظنون نفوسـهم تخفى على الله وأنهم يسـتطيعون مكر الله لذلك يستخدمون الكذب وغيره ولكن هيهات هيهات فإنها صورة عجيبة.

❊❊❊

المسارعة للخيرات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[1].

ولقد أمرنا ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالمسارعة والمسابقة إلى مغفرة الله وجنته فقال سبحانه ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[2] وقال سبحانه ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[3].

والمسابقة والمسارعة تعنيان المبادرة إلى تحين شيء يفوت بالتأخر عن طلبه ويندم الإنسان على فواته ولا سيما إذا كان ذلك الفائت شيئاً عظيماً تتعلق به النفوس كالمغفرة والجنة.

فاستبقوا الخيرات لتكونوا ممن قال الله تعالى فيهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٣.

(٣) سورة الحديد: آية ٢١.

وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ [1] وإن المسابقة والمسارعة في الخيرات تتضمن المبادرة إليها وفعلها على أحسن الوجوه والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام وزكاة وحج وعمرة وجهاد في سبيل الله وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر وكل نفع خاص أو عام.

والمسلم إذا استجاب لداعي الخير فسارع إليه وسابق فيه فإنه يفوز من الله الكريم بمنح كريمة وعطايا جزيلة وأجور عظيمة وبذلك يكون مستجيباً لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجزاؤه الحياة الطيبة الكريمة والأمن في الدنيا والآخرة والنجاة من الفتن وربما سارع المؤمن إلى فعل خير يعتبر من أدنى شعب الإيمان ولكنه وقع عند الله موقعاً عظيماً فأثابه الله عليه ثواباً جزيلاً وذلك لصحة نيته واحتساب الأجر فيه.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، وجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ علَى الطَّرِيقِ، فأخَذَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ له، فَغَفَرَ له» [2].

وفي رواية مسلم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَها مِن ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ» [3].

ومن فضل الله علينا أن العبد إذا فعل الخير وداوم عليه ثم حصل له عارض من غير قصد التخلف عنه أجرى الله له عمله على ما كان من قبل حيث قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذَا مَرِضَ العَبْدُ، أوْ سَافَرَ، كُتِبَ له مِثْلُ ما كانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» [4].

---

(١) [سورة المؤمنون: آية ٦١]

(٢) صحيح البخاري (٢٤٧٢).

(٣) صحيح مسلم (١٩١٤).

(٤) صحيح البخاري (٢٩٩٦).

وإن المسارع في الدنيا إلى الخيرات والأعمال الصالحات هو السابق في الآخرة إلى الجنات قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢﴾[1].

وإن الشيطان يحرص على تفويت الخير على المسلم والمسلمة ويحاول حبسه مهما استطاع فإن استطاع منعه من فعل الخير بالكلية وشغله بالشر فإنه لا يألوا جهدا في ذلك كما فعل بالكفار والمنافقين وإن لم يستطع منعه من الخير فإنه يكسله، ويشغله عنه حتى يفوته عليه كما يكسل عن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كما هو الحاصل عند كثير من المسلمين اليوم ممن يرتادون المساجد للجمعة فإنه في صلاة الجمعة يكسلهم عن التبكير في الحضور إليها فبعضهم لا يأتيها إلا عند دخول الخطيب وبعضهم في منتصف الخطبة وبعضهم عند إقامة الصلاة فيفوت عليهم ثواب التبكير الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَقَرَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ دَجَاجَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّما قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»[2].

فمن تأخر فوت على نفسه هذه الفضائل وربما بعض الناس مع تأخره يقوم بتخطي رقاب المسلمين ليتقدم في أول الصفوف فيجمع بين التأخير والأذى إلا إذا كان هناك مكانًا فارغًا.

(١) سورة الواقعة: آية ١٠-١٢.

(٢) أخرجه البخاري (٨٨١) واللفظ له، ومسلم (٨٥٠).

فبادروا بفعل الخيرات والإكثار من الطاعات فإن الفرص لا تدون وان الصوارف كثيرة والعوارض محتملة وإن ما مضى من العمر لا يمكن استرجاعه وما فات من خير لا يمكن تداركه ولكن عليكم بالجد في تحصيل نفيره والحزم في اغتنام ما بقي من العمر وإياكم والغفلة والتسويف.

أسأل الله أن يجعلنا جميعاً من المسارعين في الخيرات والمسابقين في عمل الصالحات وأن يغفر لنا الزلات ويقيل عنا العثرات وأن يرحمنا عند الممات.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً ...أما بعد:

فاتقوا الله تعالى واستقيموا إليه واستغفروه وعليكم بالمسارعة إلى الخيرات والمبادرة إلى الأعمال الصالحات واحذروا التواني والكسل الذي يصد به الشيطان عن خير العمل.

ولنعلم جميعاً أن الذنوب والمعاصي سبب في حرمان الانتفاع بالأعمال الصالحة، ولقد انتبه لذلك السلف الصالح رحمة الله عليهم أجمعين لمثل هذا فقال الضحاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نعلم أحداً حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] ثم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن.

وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب.

وإن الأوقات التي تمر بنا ونعيشها هي فرصة عظيمة وأوقات ثمينة لا تعوض بثمن ولا قيمة وهي محسوبة من أعمارنا فلنعمل فيها صالحاً قبل حصول الندم على التفريط وقبل طلب العود وهيهات قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾[2].

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين واجعلنا ممن إذا رزق شكر وإذا ابتلي صبر وإذا أذنب استغفر.

---

(١) سورة الشورى: آية ٣٠.

(٢) سورة الفرقان: آية ٦٢.

رقة القلب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾[1] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾[2].

وفرق كبير بين الغفلة واللهو وقسوة القلب وبين اليقظة ورقة القلب وخشوعه وإنابته إلى الله تعالى وتبلغ القسوة عند بعض الناس إلى درجة ينقلب فيها القلب إلى حجر صلد لا يتأثر بشيء كما قال سبحانه ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾[3] وصاحب هذا القلب وإن تقلب بين الناس حياً فهو في عداد الموتى تمر عليه الآيات والزواجر ويبصر في الكون وفي نفسه ما يهز القلوب الحية وتتصدع له الجبال ولكنها لا تحرك فيه ساكناً ولا تؤثر فيه موعظة الموت وإن شيع أكثر من جنازة بل ربما حمل الجنازة بنفسه وواراها بالتراب ولم تتحرك منه عبرة أو تنزل له دمعة ولربما سار بين القبور كسيره بين الأحجار.

ولو قدر له أن يناجي أهل القبور قائلاً ما عندكم وما هي أمانيكم لقالوا تركنا كل شيء ولم نحزن على شيء من الدنيا سوى ساعات مرت علينا ولم نعمل فيها

(١) سورة الطلاق: آية ٢-٣.

(٢) سورة الطلاق: آية ٥.

(٣) سورة البقرة: آية ٧٤.

صالحـاً ولحظة عصينا فيها ربنـا تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولو خرجنا للدنيـا لرأيتم كيف نعمل للآخرة ولكن هيهات وحقَّ على الأحياء أن يتعظوا بالأموات.

فيا ترى أي قسـوة القلب تجعل صاحبها غافلاً لاهيـاً عما خلق له منهمكـاً في جمع ما ليس له يعلّق قلبه بغير خالقه ويزهد في عمل هو سر سعادته، ألا إن قسوة القلب وغفلته عقوبة معجلة له والويل له إن لم يتدارك نفسه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين.

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما ضرب عبد بعقوبة أعظمُ من قسـوة القلب وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم.

أمـا أصحـابُ القلوب الحية الخاشـعة فألئـك الذين أنعم الله عليهم وشـرح صدورهم وهم على نور من ربهم كما قال سـبحانه ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[1].

وفي الحديث عن عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنتُ معَ رسولِ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاءَهُ رجلٌ منَ الأنصارِ، فَسلَّمَ على النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ قالَ: يا رسولَ اللَّهِ أيُّ المؤمنينَ أفضلُ؟ قالَ: أَحسنُهُم خُلقًا ، قالَ : فأيُّ المؤمنينَ أَكْيَسُ؟ قالَ : أَكْثرُهُم للمَوتِ ذِكْرًا، وأحسنُهُم لما بعدَهُ استِعدادًا، أولئِكَ الأَكْياسُ»[2].

وإذا كان للقسوة مظاهرُها وآثارُها على أصحابها فللرقة والخشوع آثارُها فهي من علائم الإيمان وسـيما أولي الألباب وهي أمارة العلم وبالخشـية والخشـوع والرقة تتحات الخطايا وقد ورد إذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله تحاتت عند خطاياه كما يتحاتُ عن الشجرة البالية ورقها.

(١) سورة الزمر: آية ٢٢.
(٢) صحيح ابن ماجه (٣٤٥٤) حسن.

وبه يحرمه الله عن النار قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يلجُ النَّارَ رجلٌ بَكَى من خشيةِ اللَّهِ حتَّى يَعودَ اللَّبنُ في الضَّرعِ ، ولا يجتمِعُ غبارٌ في سبيلِ اللَّهِ ودخانُ جَهَنَّمَ»(١).

والخاشع الباكي خالياً لذكر الله أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ففي الحديث «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ، اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»(٢).

ومن آثار الرقة والخشية والخشوع في قبول الدعاء ذلك لأن القلب الخاشع حاضر مع الله مستشعر عظمته وضعف نفسه.

فما أحوجنا إلى طول الخشية والرقة والبكاء في الدنيا حتى نأمن ونفرح بلقاء الله يوم التلاق في صحيح البخاري قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، قالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لهمْ خَنِينٌ»(٣).

فيا من تبحثون عن النجاة تأملوا في أنفسكم وابكوا على خطاياكم، عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما النَّجاةُ؟ قال: أمسِكْ عليْكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ»(٤).

(١) صحيح الترمذي (٢٣١١).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم (١٠٣١).
(٣) صحيح البخاري (٤٦٢١).
(٤) صحيح الترمذي (٢٤٠٦).

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً ... أما بعد:

فهناك أمور وأسبابٌ تدعو للرقة والبكاء منها مسح رؤوس اليتامى وإطعام المساكين، ففي الحديث «**أنَّ رجلًا شكا إلى رسولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قسوةَ قلبِه فقال امسَحْ رأسَ اليتيمِ وأطعِمِ المسكينَ**»[1].

وزيارة القبور ترقق القلوب كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**زُرِ القبورَ تذكُرْ بها الآخرةَ**»[2] وكذلك قراءة القرآن بتدبر وخشوع واستشعار العبد منة الله وفضله عليه.

ومما يرقق القلب ويبعد وحشته ويخفف قسوته مجالسة العلماء ومصاحبة الأخيار فهؤلاء يذكرون الآخرة.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: إخواننا أغلى عندنا من أهلينا، فأهلونا يذكروننا الدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة. وغير ذلك من الأسباب.

اللهم لا تحرمنا فضلك واسلك بنا سبيلك وأعنا على أنفسنا واجعلنا من الذاكرين الشاكرين.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣)، وعبد بن حميد في (المنتخب) (٢/ ٣٣٦)، والطبراني في (مكارم الأخلاق) (ص: ٣٥٠) باختلاف يسير.

(٢) أخرجه ابن شاهين في (الترغيب في فضائل الأعمال) (٤٧٠)، والحاكم (١٣٩٥)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (٩٢٩١) واللفظ له

آفات القلوب

الحمد لله رب العالمين مقلب القلوب والأبصار ومكور الليل على النهار ومكور النهار على الليل، وفي ذلك آيات لأولي الألباب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله اللهم صل وسلم عليه وعلى إخوانه وآله وأرض اللهم عن تابعيه وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً إلى يوم الدين ...أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

يهتم كثير من الناس بل كل الناس بعلاج أجسامهم والحفاظ على سلامة جوارحهم، ولذا قامت المستشفيات وتزار العيادات ويستشار الأطباء ويتخصصون كل بمعالجة جزء من أجزاء الجسم، ولا ضير في ذلك ولا جناح بل كان من هدي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف العلاج لذوي الحاجات، والذي ينبغي التنبيه له أنه ليس هناك عيادات معلنة لعلاج مرض القلب وليس هناك مستشفيات تعنى بفساده الذي يزيد مع أن العلم توصل إلى معالجة بعض أدرانه المادية وأمراضه الحسية.

أما معالجة القلب من أدرانه الحقيقة وإصلاحه من أدغاله وعلله فذلك مالا يستطيع البشر وإنما هو من صنع الرحمن خالق القلوب ومقلبها تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: «أَلَا وإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهي القَلْبُ»[1].

وإذا كان الناس يفزعون لمرض السرطان لسرعة انتشاره وخطره فليس أقل منه خطراً مرض القلب أو موته. والموفق من وفقه الله تعالى فأصغى سمعه للحق وقوم نفسه فإن وجد في نفسه خير فليحمد الله وإن وجد غير ذلك فلا تزال فرص الإصلاح ميسورة وطريق الخير مشروعة.

ولا بد من القناعة بأهمية موقع القلب بالنسبة للإنسان وجوارحه فهو كما قيل ملك الأعضاء وبقية الأعضاء جنوده وهم مع هذا جنودٌ مطيعون له لا يخالفونه في شيء أبداً. فإن كان الملك صالحًا كانت هذه الجنود صالحة وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة، ولا بد أن نعلم جميعًا أنه لا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال جل في علاه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[2]، ويروى في دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللَّهمَّ إنِّي أسألُك الثَّباتَ في الأمرِ وعزيمةَ الرُّشدِ وشُكرَ نعمتِك وحُسنَ عبادتِك وأسألُك قلبًا سليمًا وأسألُك مِن خيرِ ما تعلَمُ وأعوذُ بك مِن شرِّ ما تعلَمُ وأستغفِرُك لِما تعلَمُ»[3] والقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها. هذا وقد امتدح الله خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بسلامة القلب فقال: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾﴾[4].

ولهذا كان السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ ينصح بعضهم بعضًا بإصلاح القلب ومداواته، فقد قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ لرجل دو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) باختلاف يسير.
(٢) سورة الشعراء: آية ٨٨-٨٩.
(٣) صحيح ابن حبان (١٩٧٤) أخرجه في صحيحه.
(٤) سورة الصافات: آية ٨٤.

قلوبهم والمعنى الإصلاح في القلوب حتى تستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته ومهابته ورجاؤه والتوكل عليه ويمتلىء من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى قوله لا إله إلا الله.

وأدواء القلب كثيرة وأمراضه متنوعه وعلله خفية فمن أمراض القلب الغل والحقد والحسد فإذا أصيب بها الإنسان حجب عن النور والخير وباب دائما تأكل هذه الأدواء قلبه وتحجبه عن السمو والطهر وهي تنشأ من ضعف اليقين وضحالة التوكل على الله، وإلا فما زوى الله من نعمة عن شخص لا يمكن أن ينتزعها الناس له ولو اجتمعوا، كما أن ما أصاب المرء من خير لا يمكن أن يمنعه الناس ولو تكالبوا على ذلك وتعاونوا، وثقة المرء دائماً بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيها إراحة للقلب والضمير وفيها قناعة ورضاً بالمكتوب ولن يحصل الحسود على غير ما قسمه الله له ولن يفلح الحقود بمقصده.

ومن أمراض القلب كذلك الكبر والعجب والرياء وهي أدواء نسأل الله السلامة منها إذ تعزل الفرد غالباً عن مجتمع الناس وتخيل لصاحب الكبر والعجب أنه في منزلة يقصد الناس دونها فلا يسايرهم في حياتهم ولا يأنس بوجوده معهم، تراه عبوس الوجه مقطب الجبين والدنيا أقل من ذلك وأهون، ورسول البشرية ومعلم الإنسانية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يبتسم في وجه كل أحد ويطيب خلقه مع كل من قابله ويمازح الصغير والكبير بل ربما كان حُسن خلقه سبباً في إسلام خصومه والمعادين له.

فالكبر والعجب آفات قاتلة وأمراض خطيرة وحرية بالعلاج والمداواة.

وصدق الشاعر حينما قال:

كن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه ... إلى طبقات الجو وهو وضيع

وفي الحديث: «إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: إنَّ العزَّ إزاري، والكبرياءَ ردائي، فمَن نازعَني فيهما عذَّبْتُه»[1].

والى كل متكبر عليه أن يتأمل هذا الحديث قال ﷺ: «يُحشَرُ المتكَبِّرونَ يومَ القيامةِ أمثالَ الذَّرِّ في صُوَرِ الرِّجالِ يغشاهمُ الذُّلُّ من كلِّ مَكانٍ، يُساقونَ إلى سجنٍ في جَهَنَّمَ يسمَّى بولُسَ تعلوهُم نارُ الأَنْيارِ يَسقونَ من عُصارةِ أَهْلِ النَّارِ طينةَ الخبالِ»[2].

أما الرياء فهو الآخر آفة قاتلة نسأل الله السلامة منه وهو تزين أمام المخلوقين وخداع ومراوغة أمام رب العالمين وهو مع كونه معصية للخالق العظيم فهو نقص في العقل لا يحتاج إلى دليل وإلا فكيف يتزين الإنسان ظاهراً وباطنه خراب وكيف يخش الخلق والله أحق أن يخشاه.

يقول ﷺ: «إذا جمعَ اللَّهُ النَّاسَ يومَ القيامةِ ليَومٍ لا رَيبَ فيهِ، نادى مُنادٍ: مَن كانَ أشرَكَ في عَملٍ عملَهُ للَّهِ أحدًا فليطلب ثوابَهُ من عندِ غيرِ اللَّهِ فإنَّ اللَّهَ أغنى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّركِ»[3].

وهناك أمراض أخرى خفية للقلب منها خسف القلب ومسخ ونكس وحجب

(١) صحيح الجامع (١٩٠٨) صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٩٢) واللفظ له، وأحمد (٦٦٧٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٥٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٢٠٣)، وأحمد (١٥٨٧٦).

وختم وكل واحدة تحتاج إلى بيان وتوضيح.

اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء، اللهم إنا نعوذ بك من شر ما عملنا ومن شر ما لم نعمل يا رب العالمين.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليمًا مزيداً ... أما بعد:

فراقبوا قلوبكم عباد الله واحرصوا على تخليصها من أدوائها ولتكن عنايتكم بها أشد من عنايتكم بالأجسام فالله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

وعلى كل واحد منا أن يمتحن نفسه وينظر إلى قلبه من أي القلوب هي والتي قال عنها المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «القلوبُ أربعةٌ قلبٌ أجرَدُ فيه مثلُ السِّراج يزهَرُ وقلبٌ أغلَفُ مربوطٌ عليه غِلافُه وقلبٌ منكوسٌ وقلبٌ مُصفَحٌ فأمَّا القلبُ الأجرَدُ فقلبُ المؤمنِ فيه سراجُه فيه نورُه وأمَّا القلبُ الأغلَفُ فقلبُ الكافرِ وأمَّا القلبُ المنكوسُ فقلبُ المنافقِ عرَف ثُمَّ أنكَر وأمَّا القلبُ المُصفَح فقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاقٌ فمَثَلُ الإيمانِ فيه كمَثَلِ البَقْلةِ يمُدُّها الماءُ الطَّيِّبُ ومَثَلُ النِّفاقِ فيه كمَثَلِ القُرْحةِ يمُدُّها القيحُ والدَّمُ فأيُّ المدَّتينِ غلَبَت على الأخرى غلَبَت عليه»[1].

فلنداوي قلوبنا بالإيمان بالله وتحقيق التوحيد وكثرة العبادة والاقتداء بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❋❋❋

(١) أخرجه أحمد (١١١٤٥) واللفظ له، والطبراني في (المعجم الصغير) (١٠٧٥)، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٤/ ٣٨٥) باختلاف يسير.

الغفلة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيراً ..... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾[1].

كثيرة هي أدواؤنا التي تحتاج إلى الدواء الناجع لعلاجها ولكن ثمة داء يهيمن على كثير من هذه الأدواء وربما كان السبب الأكبر لها وهذا الداء تتعدد مظاهره وتتسع دائرته لتشمل الشيوخ والشباب والنساء والرجال وأهل العلم وأصحاب المال وغيرهم ولا تسأل عن غفلة ما سوى هؤلاء؟

إن أعظم قضية يجب أن تشغل بال كل واحد منا معاشر المسلمين هي قضية وجوده والغاية من حياته ومستقبله الحق وشقاؤه وسعادته ومن فضل الله على عباده أن هذه وتلك لا تشتري بالدرهم ولا بالدينار ولكنها تنال بالهمم والجد في العمل للصالحات والموفق من أيقن واستيقظ لحقائق القرآن وسائل نفسك لأي شيء خلق الله الموت والحياة والجواب في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ

(١) سورة الحشر: آية ١٨-١٩.

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[1] بل لأي شيء خلقت أنت؟ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2].

ويتحاشى الناس كل الناس الخسارة والفشل في هذه الحياة ولكن القلة منهم من يتأمل الخسران والفشل الأخروي ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[3].

إن الغفلة عن قيمة الحياة وهدف لوجود سبب للضياع والقلق في هذه الحياة والنهاية مؤلمة حين الورود على الله وإليك المشهد الذي يعرض عليك في الصباح والمساء ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾[4].

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب ... متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب
نشاهد ذا عين اليقين حقيقة ... عليه مضى طفل وكهلٌ وأشيب
ولكن علا الران القلوب كأننا ... بما قد علمناه يقيناً نكذب
نؤمل آمالا ونرجو نتاجها ... وعلى الردى مما نرجيه أقربُ
ونبني القصور المشمخرات في الهوى ... وفي علمنا أنا نموت وتخربُ
إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا ... وفي كل يوم واعظ الموت يندب

(١) سورة الملك: آية ٢.
(٢) سورة الذاريات: آية ٥٦.
(٣) سورة الزمر: آية ١٥.
(٤) سورة ق: آية ١٩-٢٢.

أي خير يرتجى وأي نهاية تنتظر إذا كنا من الغافلين الذين لا يرجون لقاء الله ورضيت بالحياة الدنيا واطمأننت إليها وتأمل مليًا في قول الحق سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾[1].

فيا ابن آدم حسبك بالقران واعظًا ومذكراً حيث يقول جل في علاه ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٣﴾[2]. إنها آيات تهز الغافلين هزاً فالحساب يقترب وهم في غفلة والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى، فتلك هي النفوس حين تستحوذ عليها الغفلة لا تصلح للنهوض بعبء وللقيام بواجب وحين يهون المرء في نظر نفسه يهون على الآخرين وحين ينس العبد ربه فإن الله ينساه وتحيق الخسارة به في الدارين.

ولا ميزتم بحواس ومدارك تفضلون بها غيركم وتدركون بها ما يضركم وما ينفعكم وحين تُعطل هذه الحواس وتحيط الغفلة بالناس ينحدرون إلى درك الأنعام بل هم أضل كما قال سبحانه ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾[3].

وإن من مظاهر الغفلة في حياتنا الافتتان بالدنيا وملذاتها في مقابل الإعراض

(١) سورة يونس: آية ٧-٨.
(٢) سورة الأنبياء: آية ١-٣.
(٣) سورة الأعراف: آية ١٧٩.

عن الآخرة وعـدم التفكير بجد في نعيمها أو جحيمها ومن مظاهر الغفلة الغضب للدرهـم والدنيـا وضعـف الغيرة لديـن الله وكذلـك الضعـف في آداء الواجبات والزهد في عمل المستحبات والتسامح في مقارفة السيئات وهتك أستار الحرمات ومن مظاهر الغفلة تعلق نفوسـنا بتوافه وعجزها عن التعلق بالمعالي وكسلها عن جلائل الأعمال الصالحة.

نغفـل عـن الموت وسـكرته وعن الحسـاب وشـدته ونغفل عن أنفسـنا وما يصلحها وآن لنا أن نستيقظ لمخططات أعدائنا وما يريدونه لنا.

وكثيـرة هي الأسـباب الجالبـة للغفلة فأنفسـنا الأمارة بالسـوء تدعونـا للغفلة وشياطين الجن يقعدون لنا بكل طريق من طرق الخير وإبليس يعدنا ويمنينا ويخوفنا تارة ويزين لها أخرى ويتلمس شياطين الأنس المراصد والوسائل التي بها يصدوننا عـن ديننا وتسـتحكم الغفلة في قلوبنا ومن أبرز وسـائلهم الفـن الرخيص والرياضة الفاتنة وكم نسـي المسـلمون قضاياهم الكبرى بسبب هذه الوسائل الملهية الفاتنة؟ وكم غفلوا عن مخططات أعدائهم في سبيل الترويح عن أنفسهم – كما يقولون –.

وقد أورثت الغفلة طول الأمل فقسـت القلوب وقل أثر المواعظ في النفوس وكثر الفسـوق والفجور وإليكم هذا الكلام الجميـل من ابن قدامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول: واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان: أحدهما حب الدنيا والثاني الجهل. أما حب الدنيا فإن الإنسـان إذا أنس بها وبشـهواتها ثقل على قلبـه مفارقتها. وأما الجهل وهو أن الإنسان يعول على شبابه ويستبعد قرب الموت مع الشباب.

نسأل الله الهداية للجميع، اللهم أيقظنا من رقدة الغفلة وأنر بصائرنا بالإيمان والتقوى واليقين يا رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

ففي حياتنا اليومية ضروب وأشكال من الغفلة فهنا من يصبح ويمسي والشيطان معه وعند الطعام والشراب والكساء ومن أراد العلاج فعليه بالذكر والإكثار منه.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي قال أذبه بذكر الله.

ومن أعظم ذلك قراءة كتاب الله تعالى وتدبره والاتعاظ بقصصه.

ومن وسائل علاج الغفلة مصاحبة الأخيار وحضور مجالس العلم والذكر وملازمة العلماء.

كذلك ومما يعين على علاج الغفلة زيارة المقابر يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**زوروا القبورَ فإنَّها تذَكِّرُكمُ الآخرةَ**»[1] وكذلك تشييع الجنائز وتذكر ساعة الاحتضار كل ذلك موقظ للغفلة.

يقول الأعمش كنا نشهد الجنازة ولا ندري من المعزى فيها لكثرة الباكين وإنما كان بكاؤهم على أنفسهم لا على الميت، ومن أنفع الأدوية في علاج الغفلة المداومة على محاسبة النفس وحاسبوا أنفسكم قبل تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا.

ووصيتي لكم العمل على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغتروا بالأمل ونسيان الأجل وقفوا عند قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي

(١) أخرجه النسائي (٢٠٣٤) بمعناه، وابن ماجه (١٥٦٩) واللفظ له.

وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾[1].

❊❊❊

(١) سورة لقمان: آية ٣٣.

القضية المشينة «الانتحار»

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله معاشر المسلمون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

إن كل ما جاء من تعاليم في شريعتنا الإسلامية إنما يقصد به حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال وهذا الذي يناسب الفطر ويساير العقول ويصلح لكل زمان ومكان.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في خطبة الوداع: «يا أَيُّها النَّاسُ أيُّ يَومٍ هذا؟، قالوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قالَ: فأيُّ بَلَدٍ هذا؟، قالوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قالَ: فأيُّ شَهْرٍ هذا؟، قالوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قالَ: فإنَّ دِماءَكُمْ وأَمْوَالَكُمْ وأَعْرَاضَكُمْ علَيْكُم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَومِكُمْ هذا، في بَلَدِكُمْ هذا، في شَهْرِكُمْ هذا، فأعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ - قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إلى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[2].

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) صحيح البخاري (١٧٣٩).

وقال الله تعالى عن حرمة قتل النفس ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾[1].

وقال سبحانه ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾[2].

وأصبحنا نسمع ونشاهد خلال السنوات الأخيرة ما لم نكن نسمعه من قبل أو نشاهده في بلادنا وإنما كانت تحدث في مجتمعات غربية ودول بعيدة كافرة وكنا نستغربها لبشاعة صورها وسوء مظهرها ولكن تلك الصور بدأنا نسمعها تقع بين ظهرانينا وبعمل أبناء جلدتنا الذي هم من أبناء هذه البلاد المباركة ومن شبابها الذي يؤمل فيهم بعد الله رفعة الدين ونصرة الإسلام والمسلمين.

تلك هي قضية الانتحار وإن لم تكن ظاهرة في بلادنا إلا أن نسبتها زادت وارتفعت خلال السنوات الأخيرة فذاك يقتل نفسه وآخر يشنقها وثالث يلقي بنفسه من أعلى العمارة وهكذا نسأل الله السلامة والعافية.

وقتل الإنسان نفسه بأي نوع من أنواع القتل هي مسألة خطيرة وكبيرة من كبائر الذنوب وفاعلها على خطر عظيم إن لم يتغمده الله برحمته.

في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، والذي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ**»[3].

(١) سورة الأنعام: آية ١٥١.

(٢) سورة النساء: آية ٩٣.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٥) واللفظ له، ومسلم (١٠٩) بمعناه.

وأخرج مسلم في صحيحه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن تَرَدَّى مِن جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهو في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ في يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَن قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بِهَا في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[1].

ويعظم الأمر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما أوتي له بشخص قتل نفسه لم يصل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكل هذه الأحاديث وغيرها تدل على عظمة الأمر وخطورته وهو محرم بدلالة الكتاب والسنة والإجماع.

وهذا العمل الشنيع وهذه الفعلة المنكرة لها أسبابًا ودواعي ولا تأتي من فراغ وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين:

* أسباب دينية.
* أسباب دنيوية

أما الأسباب الدينية فتنحصر في ثلاثة أمور:

أولاً: ضعف الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ وكذلك اليوم الآخر فمن ضعف إيمانه بالله فإنه يقدم على هذا العمل الشنيع ويرتكب هذه الكبيرة لأنه لا يستشعر عظمة الله تعالى وقدرته وعلمه وإحاطته وأن الله الذي خلق الموت والحياة ابتلاء منه سبحانه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[2] وليعلم الله صبره من جزعه ورضاه من سخطه فلو استشعر عظمة الله ما أقدم على هذا العمل المشين.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٨) واللفظ له، ومسلم (١٠٩).
(٢) سورة الملك: آية ٢.

ونجد هذا الفعل يكثر لدى الكفار لأنهم لم يؤمنوا بالله تعالى ولا باليوم الآخر ولذلك ما أن تصيب الواحد منهم مصيبة في المال أو الولد أو النفس أو يفشل في مشروع تجاري أو مهمة من المهمات تجده يبادر إلى الانتحار وإزهاق نفسه لأتفه الأسباب.

ثانياً: من الأسباب: قلة العلم الشرعي أو فقدانه فالجهل يورد صاحبه موارد الهلاك ويوقعه في كثير من المنكرات ومن ذلك قتل النفس واستعجال الموت، والعلم الشرعي سبب من أسباب خشية الله تعالى ومراقبته والاستعداد لليوم الآخر.

ثالثاً: ضعف الإيمان بالقضاء والقدر فيجزع من كل ما يصيبه من الأمراض والمحن فيقع في هذه الكبيرة ولو آمن بأن ما يصيبه إنما هو بقضاء الله وقدره وأن ذلك خيراً له من الله لما أقدم على قتل نفسه.

أما الأسباب الدنيوية:

فهي كثيرة فمنها الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها فيصيبه ذلك بالجزع والهلع والخوف والقلق فيقدم على قتل نفسه وكذلك الصحبة السيئة لها أثرها الكبير بفعل هذا المنكر ومن أخطرها وشرها الوقوع في المخدرات والمسكرات فإنها من أكبر الأسباب في الوقوع في هذه المعصية لأن الذي يتعاطى المخدرات هو انتحار بطيء ولا شك، وربما استعجل فقتل نفسه والعياذ بالله وأغلب حالات الانتحار في بسبب المخدرات والعياذ بالله.

ومن الأسباب أيضاً:

المشاكل والخصومات في المنزل ومنها الفشل في الحصول على وظيفة أو عمل وكذلك إصابة البعض بالأمراض النفسية وغير ذلك من الأسباب وعلاج

هذه الظاهرة يرجع إلى تقوية العلاقة بالله والاستمرار على طاعته وعبادته سبحانه وكذلك التربية لصالحة للأولاد وحمايتهم من رفقاء السوء وأجهزة الفساد. نسأل الله أن يحمي البلاد والعباد وأن يقينا شر أهل الفساد، اللهم احفظنا ونساءنا وأولادنا وأقربائنا وجيراننا يا رب العالمين.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمدا يرضاه والشكر له على نعماه وإن كانت غير محصاه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فإن لظاهرة الانتحار آثاراً أسرية واجتماعية واقتصادية وأمنية فآثرها الاجتماعي أن المنتحر قد يكون رب أسرة فبانتحاره تفقد الأسرة راعيها والقائم عليها بعد الله فيسري إليها الضياع والفساد إلا أن يشاء الله وكذلك الآثار النفسية التي قد تصيب الأولاد والزوجة، أما المجتمع فينقص منه عضو من أعضاءه لو صلح لانتفع به مجتمعه.

وأما الأثر الأمني فإن هذه الظاهرة لا تقتصر على المنتحر نفسه فإن من بيت النية على الانتحار والتخلص من حياته قد يوقعه ذلك إلى الانتقام من غيره أو بالتخريب والفساد قبل أن يقدم على الانتحار كما هو مشاهد في بعض الدول.

وختاماً: لابد من تكاتف الجميع لأخذ الحيطة من هذا الأمر الخطير فالأب مسئول عن ذلك والخطيب وإمام المسجد والمدرس وغيرهم. ولنجعل نصب أعيننا قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[1].

❋❋❋

(١) سورة آل عمران: آية ٣٠.

الاهتمام بصلاح القلب

الحمد لله الذي أصلح بلطفه الصالحين وخلع عليهم خلع الإيمان واليقين، وحفظهم بعنايته مما يقبح ويهين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ملك يوم الدين، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله النبي الأمين اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الدين ..... أما بعد:

فاتقوا الله تعالى واعلموا أن مدار التقوى على إصلاح القلوب فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألَا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً: إذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألَا وهي القَلْبُ»(١).

فمتى صلح القلب بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وصلاح ذلك بالمعرفة وحسن الاعتقاد ثم توجه القلب إلى ربه بالإنابة والقصد وحسن الانقياد فإن الجوارح كلها تستقيم على طريق الهدى والرشاد فصلاح الجوارح ملازم لصلاح القلوب فاغتنموا رحمكم الله إصلاح قلوبكم بحسن النية في كل مطلوب، فإن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى ما أكنته القلوب فأخلصوا الأعمال لله في كل ما تأتون وتذرون، وأنيبوا إلى ربكم واطمعوا في رحمته لعلكم ترحمون فالعمل اليسير مع الإخلاص خير من الكثير مع الرياء والثمرات الطيبة إنما تحصل لمن حقق النية واتقى فمن أصلح باطنه أصلح الله له الأحوال وسدده في الأقوال والأفعال. قال سبحانه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ

(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) باختلاف يسير.

وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[1].

وسلوا مولاكم أن يطهر قلوبكم من الغل والحقد ومن الكبر والتعاظم على العباد والحسد فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[2].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نضَّر الله امرءًا سمع مقالَتي فوعاها وحفِظها وبلَّغها فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقهُ منه. ثلاثٌ لا يغلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العملِ للهِ ومناصحةُ أئمةِ المسلمينَ ولزومُ جماعتِهم فإنَّ الدعوةَ تحيطُ من ورائِهم»[3].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تَحاسَدُوا، ولا تَناجَشُوا، ولا تَباغَضُوا، ولا تَدابَرُوا، ولا يَبِعْ بَعْضُكُمْ علَى بَيْعِ بَعْضٍ، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إخْوانًا المُسْلِمُ أخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ ولا يَخْذُلُهُ، ولا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هاهُنا ويُشِيرُ إلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ بحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ علَى المُسْلِمِ حَرامٌ، دَمُهُ، ومالُهُ، وعِرْضُهُ»[4].

طوبى لمن أخلص لله في أقواله وأفعاله ورجا فضله في حاله ومآله وطهر قلبه من البغضاء والعداوة للمسلمين وتعاون معهم في أمور الدنيا والدين مما يرضى رب العالمين، وويل لمن تعلق قلبه بأحد من المخلوقين أو امتلأ من الغل والحقد على المؤمنين، أما الأول فإنه يسعى في علو الدرجات وأما الآخر فإنه يتردى في مهاوي الهلكات.

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.

(٢) صحيح البخاري (١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) واللفظ له، وأبو يعلى في (المعجم) (٢١٩)، والطبراني في (المعجم الأوسط) (٥١٧٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٤) مختصراً، ومسلم (٢٥٦٤) واللفظ له.

اللهـم يـا مصلح الصالحين أصلح فسـاد قلوبنا ويامن بيده خزائن كل شـيء أسعفنا بمطلوبنا ويا من يغفر الذنوب جميعا اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا قال سبحانه ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾[1].

❋❋❋

(١) سورة الإسراء: آية ٢٥.

خطبة عن الموت

الحمد لله الحي الذي لا يموت توحد بالديمومة والبقاء وتفرد بالعزة والكبرياء وطوق عباده بطوق الفناء وفرقهم بما كتب عليه من السعادة أو الشقاء نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وصلى الله وسلم على خير خلقه نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل: «أكثِرُوا من ذِكْرِ هادِمِ اللذَّاتِ الموتِ»(١) .... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾(٢) .

وتعلمون أن الله قد جعل لخلقه أجلاً هم بالغوه حتى إذا جاء أجلهم توفتهم رسل الله وهم لا يفرطون.

ومن تأمل في الموت علم أنه أمر كبار وكأس تدار على من أقام أو سار يخرج به العباد من الدنيا إلى جنة أو نار.

ولو لم يكن في الموت إلا الإعدام وانحلال الأجسام ونسيان أجمل الليالي والأيام لكان – والله – لأهل اللذات مكدراً ولأصحاب النعيم مغيراً ولأرباب العقول عن الرغبة في هذه الدار زاجراً ومنفراً، كيف وبعد الموت ما بعده من الأهوال العظيمة والكرب الشنيعة والحساب والجزاء والإنسان مأمور بالاستعداد للقاء الله في كل حين فإنه لا يدري متى يأتيه رسل ربه لقبض روحه وقد قال سبحانه ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ﴾(٣) .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (٤/ ٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨) جميعهم باختلاف يسير.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٣) سورة لقمان: آية ٣٤.

وأكد الله عَزَّوَجَلَّ هذه الحقيقة وأوضحها في ثلاثة مواضع من القرآن فقال ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1]. قال بعض السلف: هذه الآية فيها تعزية لجميع الناس فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت فما أسعد من استعد لتلك الساعة وعمل من أجلها وإن أمراً يقطع أوصالك ويفرق أعضاؤك ويفتت أعضاؤك ويهد أركانك لهو الأمر العظيم والخطب الجسيم وإن يومه لهو اليوم العقيم وما ظنك -رحمك الله- بنازل ينزل بك فيذهب رونقك وبهاءك ويغير منظرك وقوامك ويردك بعد النعمة والنظرة وبعد السطوة والقدوة إلى حالة يبادر فيها أحب الناس إليك وأرحمهم وأعطفهم عليك فيضعك في حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها مظلمة أرجاؤها لينخر في جسمك هوامها وديدانها.

فالموت سنة الله في الأولين والآخرين وقد تخطاك ملك الموت إلى غيرك وسيتخطى غيرك إليك.

أتيت القبور فناديتها ... أين المعظم والمحتقر
تفانوا جميعاً فما مخبر ... وماتوا جميعا ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك فيما مضى معتبر
تروح وتغدو لبنات الثرى ... فتمحو محاسن تلك الصور

ومن هنا اشتد خوف السلف وفزعهم من الموت وعملوا بوصية الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإكثار من ذكر الموت وتدبر أمره إذ قال «**أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللَّذَّاتِ الموتِ**»[2].

(١) سورة الأنبياء: آية ٣٥.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، والنسائي (٤/ ٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨) جمعيهم باختلاف يسير.

قال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يا محمَّدُ! عِشْ ما شئتَ فإنَّك ميِّتٌ، وأحبِبْ من شئتَ فإنَّك مفارقُه، واعمَلْ ما شئتَ فإنَّك مجزيٌّ به، ثمَّ قال: يا محمَّدُ! شرفُ المؤمنِ قيامُه باللَّيلِ، وعِزُّه استغناؤُه عن النَّاسِ**»(١).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أكثر ذكر الموت قل فرحه وقل حسده».

وقال بعض أصحاب الحسن البصري رَحِمَهُمُ اللَّهُ: كنا ندخل على الحسين فما هو إلا النار والقيامة والآخرة وذكر الموت.

وقال التيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: شيئان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت وذكر الوقوف بين يدي الله تعالى، عجبًا لمن قسا قلبه عن الموت والدار الآخرة كيف يقسو قلبه وهو يرى الموت وقد انتزع أقرانه وإخوانه وأقاربه وأحبابه صرعهم الموت تحت التراب تركوا منازلهم وأموالهم وأولادهم حتى محا التراب محاسن وجوههم وجاورتهم الهوام في ملاحد قبورهم فهم خمود لا يتحركون وجيران قرب لا يتزاورون خلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم وكأنهم لم يكونوا.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديًا أو رائحًا إلى الله تضعونه في صدع من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب.

ونظر رجل إلى داره فأعجبته ثم بكى وقال: والله لولا الموت لكنت بل مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا.

أيها المسكين: أما تستحي من الله تجمع مالا تأكل وتؤمل مالا تدرك وتبني مالا تسكن وروي عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «ثلاث أعجبتني حتى

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط) (٤٢٧٨)، والحاكم (٧٩٢١) باختلاف يسير.

أضحكتني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس يغفل عنه وضاحك مليء فيه ولا يدري أساخط رب العالمين عليه أم راضٍ، وثلاث أحزنتني فرق الأحبة محمد وصحبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله ولا أدري إلى الجنة يؤمر بي أو إلى النار».

الموت أقرب غائب ينتظر فعلينا بالتوبة النصوح قبل أن تغرر الروح فإن الموت لا يستشير كبيراً لكبره ولا مسئولاً لمنزلته ولا يرحم صغيراً لصغره ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1] وما من مخلوق طال عمره وامتد أجله إلا والموت نازل به وخاضع لسلطانه ولو كان الخلود مكتوباً لأحد لكان أولى الناس به محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

نبكي على الدنيا وما من معشر ... جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبارة الألى ... كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه ... حتى ثوى فحواه لحد ضيق

واستمع لوصية المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمسٍ شبابَك قبلَ هرمِك وصحتَك قبل سقَمِك وغناك قبلَ فقرِك وفراغَك قبل شغلِك وحياتَك قبل موتِك**»[2].

❋❋❋

(١) سورة الأنبياء: آية ٣٥.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في (قصر الأمل) (١١١)، والحاكم (٧٨٤٦)، والبيهقي في (شعب الإيمان) (١٠٢٤٨)

وصف الجنة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا بأن أعظم نعم الله على عبادة في هذه الدار نعمة الهداية والثبات على طريق الاستقامة على نهج الكتاب والسنة فمن تحققت له هذه النعمة فإنه يحيى حياة طيبة ملؤها السعادة والطمأنينة ويجد حلاوتها في قلبه إلى أن يلقى ربه ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[2].

هذا في الحياة الدنيا فما بالك فيما أعده الله في الجنة؟ في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ، قالَ أبو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[3]»[4] مصداق ذلك في كتاب الله .

(١) سورة النحل: آية ٩٧.
(٢) سورة يونس: آية ٥٨.
(٣) سورة السجدة: آية ١٧.
(٤) أخرجه البخاري (٤٧٧٩) واللفظ له، ومسلم (٢٨٢٤).

فكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقرا لأحبابه وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير وأودعها جميع الخير بحذافيره فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن بلاطها فهو المسك والأذخر. وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب.

وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل.

وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ..

وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام.

وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر.

وإن سألت من غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤٌ مكنون.

وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت ويضيء البرق من ثناياها إذا ابتسمت.

لو اطلعت على الدنيا لملأت مابين الأرض والسماء ريحاً ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً تكبيراً وتسبيحاً.

هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزَّه عن التمثيل والتشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر.

وفي الحديث «أنَّ ناسًا في زَمَنِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، هلْ نَرَى رَبَّنا يومَ القِيامَةِ؟ قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ قالَ: هلْ تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظَّهيرَةِ صَحْوًا ليسَ معها سَحابٌ؟ وهلْ تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ صَحْوًا ليسَ فيها سَحابٌ؟ قالوا: لا يا رَسولَ اللهِ، قالَ: ما تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يومَ القِيامَةِ إلَّا كما تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ أحَدِهِما، إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ أذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتْبَعْ كُلُّ أُمَّةٍ ما كانَتْ تَعْبُدُ، فلا يَبْقَى أحَدٌ كانَ يَعْبُدُ غيرَ اللهِ سُبْحانَهُ مِنَ الأصْنامِ والأنْصابِ إلَّا يَتَساقَطُونَ في النَّارِ، حتَّى إذا لَمْ يَبْقَ إلَّا مَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِن بَرٍّ وفاجِرٍ وغُبَّرِ أهْلِ الكِتابِ، فيُدْعَى اليَهُودُ، فيُقالُ لهمْ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قالوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ، فيُقالُ: كَذَبْتُمْ ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِن صاحِبَةٍ ولا ولَدٍ، فَماذا تَبْغُونَ؟ قالوا: عَطِشْنا يا رَبَّنا، فاسْقِنا، فيُشارُ إليهم ألا تَرِدُونَ؟ فيُحْشَرُونَ إلى النَّارِ كَأنَّها سَرابٌ يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضًا، فَيَتَساقَطُونَ في النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصارَى، فيُقالُ لهمْ: ما كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قالوا: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللهِ، فيُقالُ لهمْ، كَذَبْتُمْ ما اتَّخَذَ اللَّهُ مِن صاحِبَةٍ ولا ولَدٍ، فيُقالُ لهمْ: ماذا تَبْغُونَ؟ فيَقولونَ: عَطِشْنا يا رَبَّنا، فاسْقِنا، قالَ: فيُشارُ إليهم ألا تَرِدُونَ؟ فيُحْشَرُونَ إلى جَهَنَّمَ كَأنَّها سَرابٌ يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضًا، فَيَتَساقَطُونَ في النَّارِ حتَّى إذا لَمْ يَبْقَ إلَّا مَن كانَ يَعْبُدُ اللَّهَ تَعالَى مِن بَرٍّ وفاجِرٍ أتاهُمْ رَبُّ العالَمِينَ سُبْحانَهُ وتَعالَى في أدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتي رَأَوْهُ فيها قالَ: فَما تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ ما كانَتْ تَعْبُدُ، قالوا: يا رَبَّنا، فارَقْنا النَّاسَ في الدُّنْيا أفْقَرَ ما كُنَّا إليهِم، ولَمْ نُصاحِبْهُمْ، فيَقولُ: أنا رَبُّكُمْ، فيَقولونَ: نَعُوذُ باللَّهِ مِنْكَ لا نُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا مَرَّتَيْنِ، أوْ ثَلاثًا، حتَّى إنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكادُ أنْ يَنْقَلِبَ، فيَقولُ: هلْ بيْنَكُمْ وبيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بها؟ فيَقولونَ: نَعَمْ، فيُكْشَفُ عن ساقٍ فلا يَبْقَى مَن كانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِن تِلْقاءِ نَفْسِهِ إلَّا أذِنَ اللَّهُ له

بالسُّجُودِ، ولا يَبْقَى مَن كانَ يَسْجُدُ اتِّقاءً ورِياءً إلَّا جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً واحِدَةً، كُلَّما أرادَ أنْ يَسْجُدَ خَرَّ علَى قَفاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وقَدْ تَحَوَّلَ في صُورَتِهِ الَّتي رَأَوْهُ فيها أوَّلَ مَرَّةٍ، فقالَ: أنا رَبُّكُمْ، فيَقولونَ: أنْتَ رَبُّنا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ علَى جَهَنَّمَ، وتَحِلُّ الشَّفاعَةُ، ويقولونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ قيلَ: يا رَسولَ اللهِ، وما الجِسْرُ؟ قالَ: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فيه خَطاطِيفُ وكَلالِيبُ وحَسَكٌ تَكُونُ بنَجْدٍ فيها شُوَيْكَةٌ يُقالُ لها السَّعْدانُ، فَيَمُرُّ المُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ العَيْنِ، وكالْبَرْقِ، وكالرِّيحِ، وكالطَّيْرِ، وكَأَجاوِيدِ الخَيْلِ والرِّكابِ، فَناجٍ مُسَلَّمٌ، ومَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، ومَكْدُوسٌ في نارِ جَهَنَّمَ، حتَّى إذا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوالذي نَفْسِي بيَدِهِ، ما مِنكُم مِن أحَدٍ بأَشَدَّ مُناشَدَةً لِلَّهِ في اسْتِقْصاءِ الحَقِّ مِنَ المُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَومَ القِيامَةِ لإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ في النَّارِ، يقولونَ: رَبَّنا كانُوا يَصُومُونَ معنا ويُصَلُّونَ ويَحُجُّونَ، فيُقالُ لهمْ: أخْرِجُوا مَن عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ علَى النَّارِ، فيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أخَذَتِ النَّارُ إلى نِصْفِ ساقَيْهِ، وإلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يقولونَ: رَبَّنا ما بَقِيَ فيها أحَدٌ مِمَّنْ أمَرْتَنا به، فيَقولُ: ارْجِعُوا فمَن وجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقالَ دِينارٍ مِن خَيْرٍ فأخْرِجُوهُ، فيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يقولونَ: رَبَّنا لَمْ نَذَرْ فيها أحَدًا مِمَّنْ أمَرْتَنا، ثُمَّ يقولُ: ارْجِعُوا فمَن وجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقالَ نِصْفِ دِينارٍ مِن خَيْرٍ فأخْرِجُوهُ، فيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يقولونَ: رَبَّنا لَمْ نَذَرْ فيها مِمَّنْ أمَرْتَنا أحَدًا، ثُمَّ يقولُ: ارْجِعُوا فمَن وجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقالَ ذَرَّةٍ مِن خَيْرٍ فأخْرِجُوهُ، فيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يقولونَ: رَبَّنا لَمْ نَذَرْ فيها خَيْرًا. وكانَ أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ يقولُ: إنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بهذا الحَدِيثِ فاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[1]، فيَقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: شَفَعَتِ المَلائِكَةُ، وشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وشَفَعَ

(١) سورة النساء: آية ٤٠.

المُؤْمِنُونَ، ولَمْ يَبْقَ إلَّا أرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فيُخْرِجُ منْها قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قدْ عادُوا حُمَمًا، فيُلْقِيهِمْ في نَهَرٍ في أفْواهِ الجَنَّةِ يُقالُ له: نَهَرُ الحَياةِ، فَيَخْرُجُونَ كما تَخْرُجُ الحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، ألا تَرَوْنَها تَكُونُ إلى الحَجَرِ، أوْ إلى الشَّجَرِ، ما يَكونُ إلى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وأُخَيْضِرُ، وما يَكونُ مِنْها إلى الظِّلِّ يَكونُ أبْيَضَ؟ فقالوا: يا رَسولَ الله، كَأنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بالبادِيَةِ، قالَ: فَيَخْرُجُونَ كاللُّؤْلُؤِ في رِقابِهِمُ الخَواتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أهْلُ الجَنَّةِ هَؤُلاءِ عُتَقاءُ اللهِ الَّذِينَ أدْخَلَهُمُ اللَّهُ الجَنَّةَ بغيرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، ولا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يقولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَما رَأَيْتُمُوهُ فَهو لَكُمْ، فيَقولونَ: رَبَّنا، أعْطَيْتَنا ما لَمْ تُعْطِ أحَدًا مِنَ العالَمِينَ، فيَقولُ: لَكُمْ عِندِي أفْضَلُ مِن هذا، فيَقولونَ: يا رَبَّنا، أيُّ شَيءٍ أفْضَلُ مِن هذا؟ فيَقولُ: رِضايَ، فلا أسْخَطُ علَيْكُم بَعْدَهُ أبَدًا»[(١)].

فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾[(٢)].

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيمُ
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلمُ

اللهم ارزقنا الجنة ووالدينا والمسلمين أجمعين.

❊❊❊

(١) صحيح مسلم (١٨٣).
(٢) سورة القيامة: آية ٢٢-٢٥.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن اقتفى وسار على نهجهم إلى يوم اللقاء ... أما بعد:

فإن الفوز برضا الرحمن والظفر بالجنان وما فيها من الحور الحسان هو بالعمل الدؤوب والجهد والمثابرة بالمحافظة على الأعمال الصالحة فاجتهد في البعد عما يفسد قلبك ويسمم فكرك ويضعف إيمانك ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[1].

ولتعلم صفات من فاز بالجنات وتبدأ فيها أعلى الدرجات من قال الله فيهم ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[2] وقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾[3] وقال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات ..

واستمع إلى نونية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث يقول:

يا خاطب الحور الحسان وطالبًا ... لو صالهن بجنة الحيوان

لو كنت تدري من خطبت ومن طلبت ... بذلت ما تحوي من الأثمان

أسرع وحث السير جهدك إنما ... مسراك هذا ساعة لزمان

---

(١) سورة العنكبوت: آية ٦٩.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥.

(٣) سورة فصلت: آية ٣٠.

(٤) الكهف: ١٠٧.

فاعشق وحث بالوصال النفس وابذل مهرها ما دمت ذا إمكان

واجعل صيامك قبل لقياها ويوم الوصل يوم الفطر من رمضان

واجعل نعوت جمالها الحادي وسر تلقى المخاوف وهي ذات أمان

❊❊❊

ذم الدنيا

الحمد لله الذي جعل الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمًا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ٤٥﴾[1] وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصاحبته وسلم تسليما كثيراً... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[2].

إن الإنسان ليعجب يوم أن يرى تهافت الناس على الدنيا والفرح بها والجري وراء حطامها ... فهل هذا منتهى الآمال ومبتغى الآجل كأنهم ما خلقوا إلا لتحصيل الأموال فالله المستعان ونسوا يوماً يرجعون فيه إلى الله.

قال سبحانه في وصف الدنيا ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩﴾[3].

واستمع رعاك الله إلى نظرة رسول الله ﷺ إلى الدنيا في الحديث: «نام رسولُ الله ﷺ على حَصِيرٍ فقام وقد أَثَّرَ في جَنْبِهِ فقُلْنا يا رسولَ الله لو اتَّخَذْنا لك وِطَاءً فقال ما لِي وللدنيا ، ما أنا في الدنيا إلا كراكِبٍ استَظَلَّ تحتَ

(١) سورة الكهف: آية ٤٥.
(٢) سورة الأحزاب: آية ٧٠-٧١.
(٣) سورة غافر: آية ٣٩.

شجرةٍ، ثم راح وتَرَكَها»[1].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وإذا رأيت الله عَزَّوَجَلَّ يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» ومن تعلق بالدنيا الزائفة وجرى باللهث وراء المادة فإن ذلك ربما يصرفه عن الطاعة والعبادة كما هو الحال المشاهد وإن جمع الدنيا بحلال وصرفها في حلال فلا شيء في ذلك أما إذا كانت من حرام أو وضعت في حرام فبئس الزاد إلى النار والعياذ بالله.

ومن يحمد الدنيا لعيش يسره ... إذا أدبرت كانت على المرء حسرة

فسوف لعمري عن قليل يلومها ... وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

قيل للحسن: يا أبا سعيد من أشد الناس صراخاً يوم القيامة فقال رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله.

ولا شك أن من استعان على الدنيا بالطاعة فإنه في خير عظيم وعلى أجر عميم فليتصدق وينفق ويساهم في نشر العلم والخير فهذه نعمة من الله.

وإن الإنسان المحب للمال الجامع للذهب والفضة يجري من مولده حتى موته خلف الدرهم والدينار ولكن ماذا يبلغ والى أين ينتهي.

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... والنفس واحدة والهم منتشر

فالمرء ما عاش ممدوداً له أجلُ ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأجل

والدنيا مقبلة ومدبرة فمن غنى إلى فقر ومن فرح إلى ترح لا تبقى على حال ولا تستمر على منوال فهذه سنة الله في خلقه فلا ينبغي من أن يتخذ الدنيا وطناً

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧) واللفظ له، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (٣٧٠٩).

ومسكنًا فيطمئن إليها ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر.

إن سهام الموت صوبت إليكم فانظروها وحبال الأمل قد نصبت بين أيديكم فاحذروها وفتن الدنيا قد حاطت بكم من كل جانب فاتقوها ولا تغتروا بما أنتم فيه من حسن الحال فإنه إلى زوال ومقيمة إلى ارتحال وممتدة إلى تقلص واضمحلال.

فمن تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر.

ويا من يزعم أنه زهد في الدنيا اعلم أن من علامات حبها: حب أهلها والتملق لهم ومحاباتهم وعدم إنكار منكرهم وقد أكد ذلك سفيان الثوري بقوله: إني لأعرف حب الرجل للدنيا بتسليمه على أهل الدنيا.

وانظر إلى الفقير الصالح المتعفف لا يتحدث معه بل ويسلم عليه سلام من يخاف أن يعديه بفقره فالسلام بأطراف الأصابع والسؤال عن الحال فيه عبوس وجه وسوء أدب وانظر رعاك الله يمنه لترى كيف وقف القوم يهللون ويرحبون .. للقادم من أهل الدنيا من حاز الدينار والدرهم وربما أنه لا يصلي وربما يصم الآذان ويزكم الأنوف سوء عمله وقبيح فعله..

ولكن انظر الفرق بين من لو أقسم على الله لأبره وكيف هو لا يسأل عنه إن غاب أو حضر وبين من لا يزن عند الله جناح بعوضه كيف استقباله والحفاوة به. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو كانتِ الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها شربةَ ماءٍ**»[1].

(١) صحيح الترمذي (٢٣٢٠).

إن عمر الدنيا قصير وأغنى غني فيها فقير وكأني بل في عرصة الموت وقد استنشقت ريح الغربة قبل الرحيل ورأيت أثر اليتم في الولد قبل الفراق فيتعظ إذن من رقدة الغفلة وانتبه من السكرة واقلع حب الدنيا من قلبك فإن العبد إذا أغمض عينيه وتولى تمنى الإقالة فقيل كلا

قطعت منك حبائل الآمال ... وحططت عن ظهر المطي رحالِ
ويئست أن أبقى لشيء نلت مما ... فيك يا دنيا وأن يبقى لي
فوجدت برد اليأس بين جوانحي ... وأرحت من حلي ومن ترحالي
ولئن يئست لرب برقة خلب ... برقت لذي طمع وبرقة آل
ما كان أشأم إذ رجاؤك قاتلي ... وبنات وعدك يعتلجن ببالي
فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبي ... يا دار كل تشتت وزوال
والآن صار لي الزمان مؤدبًا ... فغدا علي وراح بالأمثال
والآن أبصرتُ السبيل إلى الهدى ... وتفرغت هممي عن الأشغال
ولقد أقام لي المشيب نعاته ... يفضي إلي بمفرق وقذال
ولقد رأيت الموت يبرق سيفه ... بيد المنية حيث كنت حيار

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فإنه لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين.

الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها وما في ذلك من الغصص والنغص، والأنكاد وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها وهم في حال الظفر بها وغم وحزن بعد فواتها.

الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولابد ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما ههنا فهي كما قال جَلَّ وَعَلَا ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[1] فهي خيرات كاملة دائمة نسأل الله الكريم من فضله.

كان فخر الدولة علي بن بركن أحد ملوك بني بويه يقول «جمعت لولدي ما يكفيهم ويكفي عسكرهم خمس عشر سنة وتوفي في قلعة بالري وكانت مفاتيح خزائنها مع ولده ولم يحضر فلم يوجد له كفن فابتيع (أي اشتري) من قيم الجامع الذي تحت القلعة ثوب خلف فيه واختلف الجند فاشتغلوا عنه حتى أراح فلم يمكنهم القرب منه فشد بالحبال وجر على درج القلعة من بعد حتى تقطع وكان قد ترك ألفي ألف دينار وثمانمائة وخمس وستين ألفا وكان في خزائنه من

(١) سورة الأعلى: آية ١٧.

الجواهر والياقوت واللؤلؤ والماس أربعة عشر ألفا وخمسمائة قطعة قيمتها ألف ألف دينار ومن أواني الفضة ما وزنه ثلاثة آلاف ومن الأثاث ثلاثة آلاف حمل ومن السلاح ألف حمل وغيرها.

فسبحان الله العظيم في تدبيره وتصريفه ملك يملك تلك الأموال ولا يجد له كفن فيكفن بقيمة ما ابتيع من قيم الجامع فالله المستعان، فهذه هي الدنيا ولكن كما قال الحق ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[1].

❊❊❊

(١) سورة البقرة: آية ١٩٧.

ساعة الاحتضار

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم الذي بلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما مزيداً... أما بعد:

فاتقوا الله حق تقاته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

ساعات الاحتضار هي الساعات الأخيرة من عمر الإنسان الذي حدده الله لكل مخلوق وهي من أقسى الساعات وأشدها في حياته وهي ساعات لم يبعث أحد بعد الموت ليحدثنا عن تفاصيلها وآلامها ومعاناتها ويكفينا لمعرفة ذلك أن خير الخق وخاتم الرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول عند احتضاره وهو يمسح عن جبينه «إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»[2] يحدث هذا لخير الخلق فكيف بمن هو دونه؟

ساعات الاحتضار هي ساعات يزول فيها خوف المحتضر من كل شيء الخوف من النفس والخوف من الرزق والخوف على المستقبل والخوف من الإنس والجن والخوف بجميع أنواعه المزيفة.

يزل هذا الخوف ويبقى خوف واحد يلازمه في تلك الساعات وهو الخوف

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.

(٢) صحيح البخاري (٤٤٤٩).

الحقيقي والذي أمر الإنسان له ألا وهو الخوف من الله تعالى، الخوف من العزيز الجبار الواحد القهار.

يا من بدنياه اشتغل ... وغره طول الأمل
ولم يزل في غفلة ... حتى دما منه الأجل
الموت يأتي بغتة ... والقبر صندوق العمل

وعندما يستسلم المحتضر للموت الذي يأكل جسده رويداً رويدا وهو وأحباؤه يرونه يلتهم هذا الجسد وهم صامتون لا يستطيعون إيقاف مسيرته ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾[1].

وتأكد نزول الموت لا محالة ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾[2] في مثل هذه الساعات ينطق بالكلمات الأخيرة والتي تكون مجردة من كل أنواع الموانع التي تعكر صفوها وبخاصة إذا خرجت تلك الكلمات من الذين قضوا حياتهم في سبيل الله تعالى وطاعته والاقتداء بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتكون كلماتهم نبراساً ينير الدرب للسالكين من بعدهم على هذه الجادة.

ولنستمع - حفظكم الله - إلى صاحب سر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذيفة بن اليمان يؤكد حقيقة حب الموت لمن عمل لما بعده فيقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في لحظاته الأخيرة وهو يحتضر: «غط يا موت غطك وشد يا موت شدك أبى قلبي إلا حبك جاء رخاء العيش بعدك حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم أليس ورائي ما أعلم الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها» فحبه للموت هو علمه بما قدم

(١) سورة الواقعة: آية ٨٣-٨٧.
(٢) سورة القيامة: آية ٢٨.

للآخـرة من أعمال صالحـة ومن يقينه بأن ملاذّ الدنيا كلها لا تسـاوي لذة واحدة من لذات الآخرة.

ولمـاذا لا نكـون كحذيفة نحب الموت؟ وما السـبب؟ فلماذا نكره الموت؟ وتزداد هذه الحقيقة وضوحـاً في نصحية العالم الجليل الإمام أبو حازم لسـليمان بن عبد الملك عندما سأله يا أبا حازم لماذا نكره الموت؟ فقال أبو حازم «عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب».

الله اكـبر فمن ألهته الدنيا عن الآخرة ومن انغمس بالدنيا وملذاتها وشـهواتها وحرامها ونسـي الآخرة لا شك أنه سيكره الموت. وهل هناك مفر من الموت لا والله.

هـو المـوت مـا منـه مـلاذ ومهـرب ... متـى حـط ذا عـن نعشـه ذاك يركـب
نـؤمـل آمـــلاً ونـــرجـــو نـتـاجـهـا ... وعـــل الـــردى مـمـا نـرجـيـه أقـرب
ونبنـي القصور المشـمخرات في الهوى ... وفي عـلـمـنـا أنـــا نـمـوت وتـخـرب
إلـــى الله نـشـكـو قـسـوة في قـلـوبـنـا ... وفي كل يـوم واعـظ المـوت يـنـدب

يحدثنا ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبيه عمر الفاروق أمير المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيقول كان رأس عمر في حجري لما طعن فقال ضع رأسي بالأرض قال فظننت أن ذلك تبرمـاً به فلـم أفعل فقال ضع خـدي في الأرض لا أم لك ويلـي وويل أمي إن لم يغفـر الله عَزَّوَجَلَّ لي وهو في هذه الحالة دخل عليه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال يا أمير المؤمنيـن أسـلمت حين كفر النـاس وجاهدت مع رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين خذله الناس وقتلت شـهيداً ولم يختلف عليك اثنان وتوفي رسـول الله وهو عنك راض، فقال له عمر أعد علي مقالتك فأعاد عليه فقال عمر المغرور من غررتموه والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس أو غربت لافتديت به من هول المطلع».

الله أكبر فأي ذنب قد اقترفه الفاروق المبشر بالجنة حتى يخاف كل هذا الخوف وهو في لحظاته الأخيرة إنها حساسية الإيمان التي تجعله كذلك ولم يكن أيضاً من الصنف الذي ينتفش عند المديح وينسى حقيقة نفسه وخلجاتها ولذلك قال لابن عباس المغرور من غررتموه.

ولما حضرت أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الوفاة جاءت عائشة الصديقة فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾[1].

وقال مصعب سمع عامر بن عبد الله المؤذن وهو يجود بنفسه فقال خذوا بيدي فدخل مع الإمام في المغرب فركع ركعة ثم مات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فليت شعري ماذا يقول من يتخلفون عن صلاة الجماعة وهم في رغيد العيش ووافر الصحة وسابغ النعم.

ولما احتضر عامر بن عبد الله بكى وقال لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون، اللهم إني أستغفرك من تقصيري وتفريطي وأتوب إليك من جميع ذنوبي لا إله إلا الله ثم لم يزل يرددها حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن أبي مليكة شهدت عبد العزيز بن مروان عند الموت يقول ياليتني لم أكن شيئاً، ياليتني كهذا الماء الجاري.

(١) سورة ق: آية ١٩.

وقال زرقان بن أبي داود لما احتضر الواثق ردد هذين البيتين:

الموت فيه جميع الخلق مشترك لا سوقه منهم يبقى ولا ملك

ما ضر أهل قليل في تفرقهم وليس يغني عن الأملاك ما ملكوا

ثم أمر بالبسط فطويت وألصق خده بالتراب وجعل يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه.

رزقني الله وإياكم حسن الختام وختم لنا جميعاً بكلمة الإسلام وأعاذني وإياكم من خاتمة أهل الذنب والإجرام.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مبارك فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .... أما بعد:

فهذه الدنيا وإن طال فيها عمر الإنسان إلا أنه مفارقها في أي لحظة من اللحظات وبمقابل من يتوفاه الله على الخير والصلاح والعمل الصالح وقول لا إله إلا الله هناك من يتوفى على غيرها وذلك لأنه لم يعمل صالحاً في دنياه وقد نسي أخراه.

ولنسمع إلى بعض مشاهد الاحتضار لبعض العصاة والمذنبين: نسأل الله السلامة والعافية. قيل لأحد المحتضرين قل لا إله إلا الله فجعل يقول الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والبستان الفلاني اعملوا فيه كذا ..

وذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أحد التجار أن أحد قرابته احتضر وهو عنده وجعلوا يلقنونه لا إله إلا الله وهو يقول هذه القطعة رخيصة وهذا مشتري جيد هذه كذا حتى مات.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد حضرت رجلاً عن الموت يلقن لا إله إلا الله فقال في آخر ما قال: هو كافر بما تقول ومات على ذلك، قال فسألت عنه، فإذا هو مدمن خمر فكان عبد العزيز يقول اتقوا الذنوب فإنها هي التي أوقعته.

وقيل لمحتضر عنه موته قل لا إله إلا الله فقال آه آه لا استطيع قولها.

وكان رجل يجالس شراب الخمر فلما حضرته الوفاة جاءه إنسان يلقنه الشهادة فقال له اشرب واسقني ثم مات.

نسأل الله الثبات على دينه، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

❊❊❊

الأعمال الخالدة (الوقف)

الحمد لله الخبير أحمده سبحانه وأستعينه وأستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.... أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1].

ألا إنما التقوى هي العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقيٍ نقيصة ... إذا صحح التقوى وإن حاك أو حجم

لقد دعى الإسلام ذويه إلى الإكثار من أعمال البر ومتابعتها ولا سيما ما يتعدى نفعه ويستمر أجره وإدراره على الإنسان حيّاً وميتاً.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له»[2].

والمراد بالصدقة الجارية ما وقفه المسلم له قبل الممات أو بعده الإيصاء كعمارة المساجد وإجراء المياه وحفر الآبار وتسهيل الطرق وإعانة المحتاج وكحبسه على دور الفقراء والمحتاجين ونحو ذلك..

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٢.
(٢) أخرجه مسلم (١٦٣١).

وبالعلم النافع: ما استمده من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمل به حقًا وبذل للناس وفي هذا الحديث الشريف بيان عظم ثواب الوقف الجاري وبيان وعظم ثواب توريث العلم النافع بالتعليم والنشر والتأليف والطباعة.

وكذلك عظيم ثواب السعي في طلب الولد الصالح بالتزويج ابتداء ثم بتوجيهه وتربيته إذا وجد توجيهاً وتربية إسلامية كما إن الحديث يحث على العمل الصالح بوجه عام والسعي في مواصلته واستمراره بعد الموت تضمنه قوله إلا من ثلاثة فإنها لا تنقطع بالموت وتبقى مستمرة بعد موت صاحبها تدر عليه بالخير والأجر والدعاء له ممن عرفه وممن لا يعرفه ولا غرابه فقد جاءت نصوص أخرى تدل على أن العمل الصالح في الحياة يخلد لصاحبه أجراً وذكراً حسناً بعد الممات قال جَلَّ وَعَلَا ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[1] والمراد بآثارهم فيما فسره جماعة من العلماء ما خلفوه بعدهم من أعمال صالحة تبقى جارية بعد مماتهم.

وفي هذا المعنى يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن سَنَّ في الإسْلام سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلام سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بِهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شيءٌ»[2].

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ مِمَّا يلحقُ المؤمنَ من عملِه وحسناتِه بعدَ موتِه عِلمًا علَّمَه ونشرَه وولدًا صالحًا ترَكَه ومُصحفًا ورَّثَه أو مسجِدًا بناهُ أو بيتًا لابنِ السَّبيلِ

(١) سورة يس: آية ١٢.
(٢) صحيح مسلم (١٠١٧).

بنـاهُ أو نَهـرًا أجـراهُ أو صدَقةً أخرجَها من مالِه فـي صِحَّتِه وحياتِـه يَلحَقُهُ من بعدِ موتِهِ»[1].

وتقربوا إلى الله بالتماس وعمل مايترك لكم ذكراً حسـنًا وآثاراً تحمد ولسان صدق في الآخرين وتقربوا إلى الله بكثرة الأعمال الخيرية التي تبقى ويظل أجرها جاريـاً بعد الممـات علمية أو مالية. فنعم العلم والله ونعـم المال الذي يدر على صاحبـه في الدنيـا والآخـرة بالأجر والثـواب ونعم العلـم والمال الـذي يذكر به صاحبه بخير ويدعو له لأجله من لا يعرفه بعد أن يودع الثرى ويتخلى عنه الأهل والأصدقاء بعد أن تتمزق أوصاله وتبلى عظامه.

فسـعياً سـعياً إلى فعل الخيـر أو تكثير الأعمال الصالحـات المتعدي نفعها والباقـي فـإن أمركم إلى ما بعد الموت مـن عمل بر وخير أحوج منـه إلى ما قبله ومبادرة مبادرة إلى ما يخلد لكم الأجر والثناء المستطاب الذي تضحون به أحياء وأنتم في عالم الأموات.

وحذار حذار من الوقف للإضرار والمحاباة كمن يقصد بالوقف إضرار شريك أو حرمان وارث أو نفقه دون غيره من الورثة بالوقف، ولا تصح إلا إذا خلصت لله وتمشت مع ما شرعه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحروا بمصاريف أوقافكم الفقراء والأقربـاء والجمعيات الخيرية والدعوية وكلما يشـمل نفعه وتشـتد الحاجة إليه كالمياه والمسـاجد والطرق والمدارس الإسـلامية والكتب الإسلامية وبما ينفق منه أوقاف المساجد والضرورات والأزمنة الفاضلة كرمضان والحج ..

روى البخـاري ومسـلم رَحِمَهُمَا اللَّهُ عن ابن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَصَـابَ عُمَرُ

(١) صحيح ابن ماجه (٢٠٠) حسن.

أَرْضًا بخَيْبَرَ، فأتَى النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هو أَنْفَسُ عِندِي منه، فَما تَأْمُرُنِي به؟ قالَ: إنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بهَا، قالَ: فَتَصَدَّقَ بهَا عُمَرُ، أنَّهُ لا يُبَاعُ أَصْلُهَا، وَلَا يُبْتَاعُ، وَلَا يُورَثُ، وَلَا يُوهَبُ، قالَ: فَتَصَدَّقَ عُمَرُ في الفُقَرَاءِ، وفي القُرْبَى، وفي الرِّقَابِ، وفي سَبيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبيلِ، وَالضَّيْفِ، لا جُنَاحَ علَى مَن وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ منها بالمَعروفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غيرَ مُتَمَوِّلٍ فيه»[1].

قال جَلَّ وَعَلَا ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٩٢﴾[2].

***

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (١٦٣٢) واللفظ له والرواية: أخرجه مسلم (١٦٣٣).

(٢) سورة آل عمران: آية ٩٢.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحد والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ... أما بعد:

فلقائل أن يقول عرفنا الوقف وفضله ومنافعه وأجره في الدنيا والآخرة وغير ذلك من الأحكام ولكن أين الطريق؟.

وأقول إن من نعم الله تعالى علينا في هذه البلاد حفظ الله ولاة أمورها ورزقهم البطانة الصالحة الناصحة. أنه يوجد في هذا البلد وغيره مشاريع خيرية يقوم عليها مشايخ فضلاء وإخوة نبلاء ثقاة ولله الحمد هم قائمون على مشاريع خيرية وقفية يكون للمتصدق والمساهم فيها أجرة الصدقة الجارية أو العلم الذي ينتفع به، وعلى من أراد أن يوصي عليه ألا يقصر الوصية على الأضحية فقط له ولوالديه بل عليه أن يوصي لمجالات الخير والبر والإحسان حتى يعم نفعها ويكثر أجرها، بل وعلى الإنسان ألا يكتفي بالوصية حال قرب الوفاة بل عليه أن يبادر بإخراج الصدقة والتبرع لمثل هذه المجالات التي هي بحاجة إلى دعم وتبرعات الجميع.

وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وتَأْمُلُ الغِنَى، ولَا تُمْهِلُ حتَّى إذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا، ولِفُلَانٍ كَذَا وقدْ كانَ لِفُلَانٍ»[1] وعلى الإنسان أن يوقن بالإخلاف من الله تعالى.

اللهم أعنا على أنفسنا وقنا شح أنفسنا ياذا الجلال والإكرام.

(١) أخرجه البخاري (١٤١٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٢).

المرض وفوائده

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه ما ترقرق الغمام وما جنح الظلام وما أفشي السلام وما كان في قلوبنا وفي أذهاننا إمام وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾[1].

إن العبد مبتلى في كل شيء فيما يسره ويحبه وفيما يسؤوه ويكرهه قال الحق جَلَّ وَعَلَا ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٣٥﴾[2].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، نبتليكم بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلالة وقال جل ذكره ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٦٨﴾[3].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: واختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه ويعني بالسيئات: الشدة في العيش والشظف فيه والمصائب والرزايا في الأموال ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[4]

(١) سورة الحشر: آية ١٨.
(٢) سورة الأنبياء: آية ٣٥.
(٣) سورة الأعراف: آية ١٦٨.
(٤) سورة الأعراف: آية ١٦٨.

أي ليرجعوا إلى طاعة ربهم وينيبوا إليه ويتوبوا من معاصيه. أ.هـ

فهذا هو قضاء الله تعالى وقدره:

يجري القضاء وفيه الخير نافلة ... لمؤمن واثق بالله لا لاهي

إن جاءه فرج أو نابه ترح ... في الحالتين يقول الحمد لله

وإنه ثمة أمور حول المرض والمريض وزيارته نذكرها على سبيل الاختصار فإن زيارة المريض سنة وحق من حقوق المسلم على أخيه المسلم في الحديث عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، واتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وإِبْرَارِ القَسَمِ، ونَصْرِ المَظْلُومِ، وإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وإِجَابَةِ الدَّاعِي»[1].

وفوائد زيارة المريض كثيرة منها أنك تدخل إلى نفس المريض البهجة والسرور وتزيل عنه الهم والحزن والتفكير، والزيارة تقوي الروابط والصلات وتذكره بالله وتشعره بالمحبة والإخوة في الله هذا فضلاً عما يحصل للزائر من الأجر والثواب عند الله تعالى.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يقولُ يَومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أَعُودُكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: أما عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أما عَلِمْتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ وكيفَ أُطْعِمُكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: أما عَلِمْتَ أَنَّه اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أما عَلِمْتَ أَنَّكَ لو أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلكَ عِندي، يا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أَسْقِيكَ؟ وأَنْتَ رَبُّ العالَمِينَ، قالَ: اسْتَسْقاكَ عَبْدِي فُلانٌ

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٥) واللفظ له، ومسلم (٢٠٦٦).

فَلَمْ تَسْقِهِ، أما إنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وجَدْتَ ذلك عِندِي»[1].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن عادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ في خُرْفَةِ الجَنَّةِ، قيلَ يا رَسولَ اللهِ، وما خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قالَ: جَناها»[2] وهو ما يجتنى من الثمر.

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ما من مسلم يعودُ مُسلِمًا غدوةً، إلَّا صلَّى عليهِ سبعونَ ألفَ ملَك حتَّى يُمسيَ، وإن عادَهُ عشيَّةً، إلَّا صلَّى عليهِ سبعونَ ألفَ ملَكٍ حتَّى يُصبِحَ، وَكانَ لَه خريفٌ في الجنَّةِ»[3].

أما عن فوائد المرض فنعم له فوائد كبرى منها: استخراج عبودية الضراء وهي الصبر: قال سبحانه ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[4].

قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كل ما ساءك فهو مصيبة».

ومن أعظم فوائد المرض أنه سبب لدخول الجنة فالجنة سلعة الله الغالية التي لا تنال إلا بما تكرهه النفس.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللَّهَ قالَ: إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ منهما الجَنَّةَ يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ»[5].

(١) صحيح مسلم (٢٥٦٩).
(٢) صحيح مسلم (٢٥٦٨).
(٣) أخرجه الترمذي (٩٦٩) واللفظ له، وأحمد (٩٥٥).
(٤) سورة البقرة: آية ١٥٥-١٥٧.
(٥) صحيح البخاري (٥٦٥٣).

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يقولُ اللَّهُ تَعالَى: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِندِي جَزاءٌ، إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِن أهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إلَّا الجَنَّةُ»(١).

فمـا أعظمها مـن فائدة ومن فوائد المرض أنه سـبب في تكفيـر خطاياك التي اقترفتها بقلبك وسمعك وبصرك ولسانك وسائر جوارحك.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِن نَصَبٍ ولَا وصَبٍ، ولَا هَمٍّ ولَا حُزْنٍ ولَا أذًى ولَا غَمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بهَا مِن خَطَايَاهُ»(٢).

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أذًى، مَرَضٌ فَما سِواهُ، إلَّا حَطَّ اللَّهُ له سَيِّئاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ ورَقَها»(٣).

ومـن فوائـد المرض وغيـره من المصائب أنه يرد العبد الشـارد عـن ربه إليه ويذكـره بمـولاه بعد أن كان غافلاً عنـه ويكفيه عن معصيته بعـد أن كان منهمكًا منها فإن العبد متى كان صحيحًا معافى انهمك في ملذاته وشهواته وأقبل على دنياه ونسي مولاه قال جَلَّ وَعَلَا ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾(٤).

قال يزيد بن ميسـرة رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن العبد المريـض وماله عند الله من عمل خير فيذكره الله سـبحانه بعض ما سـلف من خطاياه فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدمع من خشية الله فيبعثه الله إن يبعثه مطهراً أو يقبضه مطهرا».

(١) صحيح البخاري (٦٤٢٤).
(٢) صحيح البخاري (٥٦٤١).
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٦٠) واللفظ له، ومسلم (٢٥٧١).
(٤) سورة الأنعام: آية ٤٢.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مصيبة تقبل بها على الله خير لك من نعمة تنسيك ذكر الله ومن فوائد المرض طهارة القلب من الأمراض فإن الصحة تدعو إلى الأثر والبطر والإعجاب بالنفس لما يتمتع به المرء من نشاط وقوه وهدوء بال فإذا قيده المرض وتجاذبته الالآم انكسرت نفسه ولا قلبه وتطهر من الأخلاق الذميمة والصفات القبيحة.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد من أدواء الكبر والعجب والفرعنه وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً فمن رحمة أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وكما قيل:

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم

إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، نفعني الله وإياكم بما سمعنا.

❊❊❊

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد ورسوله المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ... أما بعد:

إن الإنسان لا يسلم من المرض كل بحسبه وعلى المرء أن يحسن الظن بالله تعالى وأن يصبر وأن يحتسب حتى يبلغ الأجر والثواب من الكريم الوهاب وأن يدعوا الله تعالى ويلتجئ إليه سبحانه بالدعاء وأن يكثر من الذكر والاستغفار وأن يرد للناس حقوقهم وأن يتذكر الصحة والعافية وأن يبحث عن الدواء المباح وأن يتوب إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

وما يذكر به في هذا المقام آداب زيارة المريض فمنها:

- اختيار الوقت المناسب للزيارة وأن لا يزوره في الأوقات التي ينهي الطبيب فيها الزيارة عنه.
- وكذلك من الآداب أن يراعي تعليمات الأطباء في عدم إحضار الأطعمة والأشربة الممنوعة للمريض.
- وكذلك عليه أن يراعي عدم الإطالة في الزيارة وإفساح المجال للغير من الأهل والأقرباء.
- ومن الآداب أن يدعوا للمريض بالدعاء المشروع والوارد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[1].

(١) صحيح البخاري (٣٦١٦).

وليعلم المريض وغيره أنه ما يصاب به الإنسان إنما هو من قضاء الله وقدره ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[1] وقال جل ذكره ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[2].

قال علقمه في تفسير الآية هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

ولهذا لما جيء بسعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى الحجاج ليقتله بكى رجل فقال سعيد وما يبكيك قال لما أصابك قال فلا تبك كان في علم الله أن يكون ذلك ثم تلا ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[3].

جعلنا الله وإياكم من عباده لمؤمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

❊❊❊

(١) سورة التوبة: آية ٥١.
(٢) سورة التغابن: آية ١١.
(٣) سورة الحديد: آية ٢٢.

الفهرس

- مقدمة ٣
- حب الدنيا وكراهية الموت ٦
- هم الدنيا والآخرة وفتنة المال ١٣
- حسن الخاتمة وسوءها ١٨
- متاع الغرور ٢٤
- الندم يوم القيامة (١) ٣٠
- الندم يوم القيامة (٢) ٣٥
- المسارعة للخيرات ٤٠
- رقة القلب ٤٥
- آفات القلوب ٤٩
- الغفلة ٥٥
- القضية المشينة «الانتحار» ٦١
- الاهتمام بصلاح القلب ٦٧
- خطبة عن الموت ٧٠
- وصف الجنة ٧٤
- ذم الدنيا ٨١
- ساعة الاحتضار ٨٧
- الأعمال الخالدة (الوقف) ٩٤
- المرض وفوائده ٩٩